# الشذوذ العقلى والجنون

إن الشذوذ العقلى أمر نسبي ، وتختلف الآراء فى تقريره وتقديره كما أن المستوى العقلى الطبعى يختلف باختلاف الشعوب والعصور .

والشخص الشاذ غير الشخص الفذ ، فالشاذ لا بد أن يكون مختلاً فى ناحية أو أكثر من النواحى العقلية . أما الشخص الفذ فهو الذى يسمو بمشاعره أو عقله نحو الكمال على أن الرجل الفذ قد يكون شاذاً فى ناحية ما من النواحى العقلية مع سموه من نواحٍ أخرى .

كان نيرون شاذاً وكان نابليون فذاً .

والواقع أن الإنسان مسيَّر فى تصرفاته لا مخيَّر ، فهو لا يمكن إلا أن يتصرف تصرفاً خاصاً فى ظروف خاصة وفى وقت ما . وقد قال حكيم ( أعقل الناس أعذرهم للناس ) ، ولا أقصد بذلك مثلاً ألا يعاقب السارق على سرقته أو القاتل على قتله ، بل أقرر أنه لابد من عقابهما فى سبيل المجتمع وإن كنت أعذرهما فى نفسى .

ولا يوجد حد فاصل بين العقل والشذوذ وبين الشذوذ والجنون . والشذوذ عادة خلقى ولا يتغير الا تغييراً بطيئاً تبعاً لتطور العقل بامتداد العمر . أما الجنون فهو دائما فى تغير محسوس ، فقد ينتهى بالشفاء أو باشتداد الحالة وتدل الأفكار الجنونية على انحطاط عقلى أشد بكثير من الأفكار الشاذة .

وقد ينتقل الانسان من العقل إلى الشذوذ إلى الجنون ، أو من العقل الى الجنون ، أو من الجنون إلى الشذوذ إلى العقل ، أو من الجنون إلى العقل . وقد ينشأ الشذوذ من بعض الأمراض الطارئة كالتيفودية ، كما أنه قد يكون وقتياً أثناء الحمل .

ومن المفيد أن أقول إن المريض بمرض ( البارانويا ) قد يكون أشد ذكاء وأقوى حجة فى أول عهده بالمرض من بعض الأشخاص المعدودين فى زمرة العقلاء ، بيد أن المرضى بالبارانويا خطرون ، فقد يقتلون أشخاصاً بريئين لاعتقادهم مثلا أنهم يحاولون عرقلة مساعيهم للوصول إلى أريكة الحكم .

وكل فكرة أو شعور أو تصرف إذا لم تتناسب مع حالة الشخص والأحوال المحيطة به تصبح شاذة أو جنونية . فقد يرى متعاطى المنزول مثلاً قطة فيخالها أسداً ، كما أنه يبالغ فى تقدير الوقت والمسافات ، فقد يقدر الدقائق المعدودة بساعة أو بساعات ، وقد يتخيل المريض بالسوداء مثلاً أسداً قادماً لافتراسه بينما لايكون هناك أسد ما .

ومن الناس من ينتحرون لأتفه الأسباب ، فهو تصرف شاذ ناتج عن شعور شاذ . على أن هانيبال لم يكن شاذاً فى انتحاره بل كان فذاً فهو إنما آثر أن يضحى نفسه ضناً بمجد وطنه الممثل فى شخصه أن يمتهنه الرومان .

وكثيراً ما يدرك الشاذ أنه شاذ والمجنون أنه مجنون . ويفد على مستشفى الأمراض العقلية من نسميهم ( المجاذيب المتطوعين ) الذين يشعرون أنهم لا يستطيعون أن يكيفوا أنفسهم للتمشى مع البيئة فيلجأون الى المستشفيات من تلقاء أنفسهم حيث يجدون من يفهمون نفسياتهم

ويعاملون المعاملة التى يرتاحون إليها .

ويسرد بعض المجاذيب عند ما يشفون الهواجس التى كانت تتسلط عليهم ويعجبون منها . ومن مرضاى سيدة كانت تعرف أنها مقدمة على نوبة سوداوية من أفكار سوداء تنتابها من حين إلى آخر فتقول لى مثلاً « إنى خائفة من أن تعاودنى نوبة سوداوية وقد قدم لى الطعام اليوم فظننته مسموماً » أو « مضت على ساعات خفت أن يموت فيها أهلى » أو « إنى شعرت بأن الله يريد عقابى لأننى لم أتبع تعاليم الدين الحنيف »

والآن أنتقل من هذه المقدمة إلى ذكر بعض التصرفات والأفكار الشاذة .

جاءنى ذات يوم رجل وقال لى : ألا تدرى ؟ قلت : ماذا ؟ قال : إن السلطة العسكرية تخشى بأسى وتعمل لى ألف حساب . قلت : وما دليلك قال : إن دليلى ظاهر فقد أمر المندوب السامى بحبسى بمناسبة المظاهرات ولولا أنه يخشى بأسى لما حبسنى . فابتسمت وقلت له فى خضوع إنك لعلى حق .

— لما كنت تلميذا مبتدئاً قال لى صديق أن أباه أعد له تراماً خاصاً ينتظره كل يوم عند باب منزله ليقله إلى المدرسة أو للنزهة . وما زال هذا الصديق شاذاً فى بعض النواحى إلى هذا العهد . وهذا مثل يبين أن الشذوذ قد يبدو جلياً من عهد الطفولة.

وإن كثيرين من الذين يعتنقون الطرق الدينية ويشتركون فى حلقات الذكر شاذون أو مخبولون أو بسطاء العقول .

— سحقت سيدة صرصوراً بأحد قدميها العاريتين فرفعت قدمها

بسرعة البرق وظلت معلقة إياها فى الهواء بضع ساعات لأنها كانت تخال أنها ستسحق صرصوراً كلما همت بأن تدب بقدمها على الأرض .

— وهناك فريق من الناس يغوون الأجرام لا للانتفاع بما تدره عليهم جرائمهم بل لمجرد التلذذ بتعذيب ضحاياهم وهم مجرمون بالغريزة ويشعرون بالميل إليه كما يشعر الآخرون بأحب متع الحياة .

ومن هؤلاء المجرمين من يحبون الأجرام لذاته فهم فى ابتكارهم الحيل الأجرامية يشعرون بلذة تماثل لذة لاعب الشطرنج .

— ولعل أشد أنواع الشذوذ انتشاراً الشذوذ السوداوى والشذوذ الهوسى . وكثيرون من الشعراء ذوو شعور سوداوى حيث تنقبض نفوسهم وتسود الدنيا فى أعينهم لأتفه الأسباب أو بدون سبب ما .

وهم يفكرون كثيراً فى الموت والآلام النفسانية ويتحسرون على مصير الأنسان ومصير العالم . وقد ينتحر الشخص ذو المزاج السوداوى لأتفه سبب .

أما الشخص المتهوس فيعتد بنفسه ويعتقد بأنه خارق الذكاء أو بارز البطولة فتراه فى حديثه دائم الحركة فيقوم ويقعد مراراً ويذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ويرغى ويزبد وتجحظ عيناه كلما احتد ويشفع كل كلمة من كلماته بحركات من يديه ورجليه وتنقبض وتنبسط عضلات وجهه تبعاً لما يخالجه من شعور .

وقد حدثنى أحد الموظفين عن موظف فى درجة كبيرة كان شديد الشك والحذر فيدون مذكراته اليومية على الأوراق المصلحية كل يوم من أيام الاسبوع بلون خاص وقد أعد لذلك ستة ألوان حتى إذا عثر على مذكرة مؤرخة

فى تاريخ ما مكتوبة بلون غير اللون الذى اعتاد أن يكتب به فى مثل هذا اليوم من أيام الاسبوع اعتقد أنها مزورة .

— ولعل أظرف أنواع الشذوذ شذوذ العبقريين . فأحدهم لا يستطيع شحذ قريحته إلا إذا وضع قدميه فى وعاء ماء ، وآخر لا يستطيع ذلك إلا إذا جاس فى مكان تغشاه شمس محرقة ، وثالث لا تطاوعه ملكاته إلا إذا لبس أحسن ثيابه ، ورابع لا يكتب إلا إذا وضع الثلج على رأسه .

— بينما كان أحد أصدقائى ماراً بمنزل صديق له على جانب عظيم من الذكاء وكان مطلاً من نافذة منزله ابتدره بالسؤال عما يفعل ؟ فأجابه بأنه يقرأ فى كتاب عن « الانثروبولوجيا » واستغرق وقتاً طويلاً فى سرد هذا العلم من علو كبير وبصوت عالٍ وكانت الساعة الثانية صباحاً .

— ولأعرج بعد ما تقدم على ذكر التأنق فأقول إن الشخص الذى يقضى أمام المرآة ساعةً واضعاً ( المونوكل ) يتألق على عينه وقد أمال طربوشه إمالة متطرفة ثم يسير أمام المرآة جيئةً وذهاباً ليتأكد من رشاقته ثم لا يلبث أن يهبط إلى حديقة منزله يتناول وردة كبيرة ذات لون زاه يضعها على صدره لهو شاذ ولا يقل شذوذاً عن الشخص الذى لا يعنيه أن يلبس إزارزوجه القديم المزركش ( بالدنتلا ) الممزقة .

— وهناك ظاهرة غريبة فى بعض الاشخاص إذ يسيرون أثناء سباتهم Somnambulism ويأتون أعمالاً وقد يكون منها ما يحتاج إلى شىء من الذكاء والحذر دون أن يذكروا ما فعلوه بعد أن يفيقوا من سباتهم وكان أحد هؤلاء معتاداً المسير على سور ضيق فى أثناء سباته دون أن تزل به قدماه .

وقد يحدث لبعض الأشخاص بعد نوبات الصرع مثلاً أن يقوموا بأعمال قد تكون إجرامية تخالف ما انطبعت عليه شخصيتهم الأصلية Automatism

— وللغدد الصماء تأثير على شخصية الأنسان فأذا تضخم عضو فوق الكلى بعد الولادة مباشرة بلغ الشخص سن البلوغ قبل الأوان .

وأنا أعرف سيدة من هذا النوع تجلس مع الرجال فى المنتديات العامة وتمسك عصاً غليظةً بيدها وتتكلم بصوت أجش وتميل إلى العنف والمشاجرة ولها جسم ضخم بدين .

وتؤدى قلة إفراز الغدة الدرقية إلى خمول المريض العقلى والجسمانى وقد تنتابه تشنجات أو هواجس فى حين أن زيادة إفراز هذه الغدة يسبب شدة عصبية المريض فترتعش أعضاؤه وتجحظ عيناه ويخفق قلبه وقد تعتريه أعراض عقلية ملاخولية أو هوسية.

ولشذوذ التفاؤل أمثلة كثيرة فأنا أذكر صديقاً أيام الدراسة كان يسير مطرقاً إلى الأرض علّه يعثر على حافظة نقود أو خاتم ثمين ضائع وأعرف سيدة كانت تقضي الليالى ساهرة لا فى طلب المعالى وإنما فى انتظار « بغلة العرش » تحمل لها الأصفر الرنان .

وأظهر مثل على الشذوذ الوقتى شذوذ الوحم فمن الحاملات من تأكلن الطين أو قشر البطيخ مثلاً .

ومن الناس من لا يكاد يطرق موضوعاً حتى ينتقل الى غيره قبل استيفائه ثم لا يلبث أن ينتقل إلى ثالث ورابع دون أن يكون بين تلك المواضيع أقل أرتباط .

وهـذا يدل على عدم تماسك أفـكاره الناتج من اختلال وظائف الخلايا والألياف الرابطة بالمخ .

ويغرم بعض الناس بتقليد شتى أنواع الحيوان والقطر الحـديدية وسواها فى أصواتها وحركاتها ، ومنهم من يغرم بأطالة شعر رأسه وذقنه وأظافره إلى أقصى حد ممكن كما أن منهم من يزين جسمه كله بالوشم .

وإذا فتشنا فى كتب التاريخ ألفينا أمثلة كثيرة من أنواع الشـذوذ والجنون وقد كان نيرون شاذاً إذ كان يتلذذ من رؤية روما تحترق والناس تستغيث وتتألم .

أمثـلة من أفكار وتصرفات المجاذيب .

تعمد سيدة الى وضع مسامير وقطع من الزجاج والصفيح فى موضع العفة منها خوفاً من أن يتاح لرجل تـكرهه الحظوة بها .

ويميل رجل إلى ربط آنية نحاسية إلى مقعده عند نومه لغرض مماثل .

وقد أطال أحد المجاذيب شعر ذقنـه إلى حد كبير ثم قصها وغزلها وصنع من أليافها قلنسوة لرأسه .

هناك مجذوب يعتقد أن ببطنه ثلاثة أولاد محمد وأحمد ونعيمة وهو كلما تحركت الغازات فى جوفه اعتقد أن جدالاً قام بين أبنائه المزعومين فيربت على بطنه ليـكفوا عن الجدال . وإذا سكنت تلك الغازات اعتقد أن أبناءه ساكنون أو نائمون وأشار لمن حوله بالتزام الصمت خوفاً من إيقاظهم .

أعرف سيدة عجوزاً كانت تقول لمن حولها بعد أن توجه إليهم كل

أنواع الشتائم والسباب « إسمعوا يا أبنائى . إننى قد اعترانى خبل الشيخوخة ومن يتكدر منى يكون أكثر منى خبلاً وأشد جنوناً »

ولا تزال ترن فى أذنى مقطوعات ظلت تكررها ليل نهار سيدة مجذوبة فكانت تقول:

« لبسهم ـ نبقة وطلعهم بلبوص  لبسهم نبقة وطلعهم من غير روس
وحدوا ربكم. الدم يطفح على قلبكم  ولسانكم ينزل على صدركم
لم ياعمى لم . لم ياجدى لم  عشرين قتيل وعشرين حصان

وتتخيل مريضة بالملاخوليا إذا رأت طائفة من النمل تسير أن أهل المنزل يعنون بتربية النمل حتى إذا كثر عددها سلطوها عليها لتنهش لحمها نهشاً .

وقد انحطت أفكارها إلى درجة أنها كانت تتصور أن أخاها أصبح قضيباً للسكة الحديدية وكانت تتألم تألماً شديداً كلما سمعت القطر تمر عليه .

ومن المرضى من يظن أنه أبرة حياكة أو حبة قمح أو قلة ماء أو جبل من النار أو أن رجله من زجاج أو أن أذنه من طين .

ولم أكن أخشى من مرضى مستشفى العباسية الذى كنت طبيباً فيه إلا مجذوبة متهوسة كان لها لحية وشارب وعينان براقتان مخيفتان وقد ألفت تكرار أقوال باللغة الأنجليزية تعريبها :

« أنا أكره الرجال . أكره النساء والاطفال . أكره الناس أجمعهم أكره انجلترا أكره فرنسا وألمانيا . أكره العالم أجمعه »

أعرف شخصاً مدمناً على تعاطى المغيبات ( المنزول ) بلغ به الخيال حد اعتقاده بأنه قادر على تغيير نظام الكون وعلى إضاءته بأربعة مصابيح

مجعل الليل نهاراً ، ومن برنامجه إسعاد البرية وكفايتهم مؤونة مزاولة الأعمال لاراحتهم من عنائها .

وقد أنفق هذا الشخص بضع مئات من الجنيهات فى عمل تماثيل خشبية لها لوالب وكان يسمى كل تمثال باسم خاص ويزورها كل يوم ويطلب مثلاً من التمثال « عنتر » أن يرفع يده للتحية فيشد لولباً خاصاً فلا تلبث أن ترتفع يد التمثال ثم يكلفه بأداء حركات معينة ولا يلبث أن يشد لوالب أخرى فيؤدى التمثال الحركات المطلوبة .

ثم يظهر صاحبنا هذا إعجابه بوضع يده على ذقن التمثال ويقول « برافو عليك ياسى عنتر ! »

وأكثر ما كان يضايقنا فى المستشفى تغذية المرضى صناعياً بواسطة اللىّ المعدى إذ كان هؤلاء المرضى يمتنعون أحياناً أو باستمرار عن تناول غذائهم لأسباب شتى ، فمنهم من كان يعتقد أن الطعام مطبوخ بدماء القتلى أو أنه مسموم أو أن قطع اللحم التى تقدم اليهم ليست إلا قطعاً من لحوم القطط أو الضفادع أو من لحوم الموتى .

وهناك فريق فقد كل قواه العقلية فأصبح لا يدرى ما هو الطعام ولا يشعر بجوع أو عطش ، ونستطيع أن نسميه بحق الحىّ الميتَ فهو حى الجسد ولكنه ميت الفكر والشعور .

# الشذوذ الجنسي

يشعر صغار الأطفال بلذة مبهمة عندما يعبثون بأعضائهم الجنسية ، وفى نحو السادسة أو السابعة تبتدىء ميول الطفل تختلف عن ميول

الطفلة : فبينما يقلد الطفل حركات الجنود ويجعل من عصاه بندقية يصوبها نحو عدو خيالى إذا بالطفلة تتخذ لها أبناء من الدميات وتقلد الطبخ فى أوعية صغيرة لإطعام أطفالها وزوجها الموهوم عندما يعود من عمله .

وتمر الحياة الجنسية فى أربعة أدوار وتنتهى بسن اليأس :

(١) الحياة الجنسية المبهمة : وتبتدىء بمستهل العمر وتنتهى فى نحو الرابعة أو الخامسة حيث يصبح الطفل ولوعاً بالعبث بأعضائه الجنسية ويشعر بلذة مبهمة من ذلك .

(٢) الحياة الجنسية الكامنة : وتبتدىء عادة فى الخامسة من العمر وتنتهى بابتداء البلوغ وفيها يشعر الطفل بوجود فارق بينه وبين الطفلة من حيث الميول والتكوين كما أن مناداته بخطاب التذكير يشعره بأنه يختلف عن الأنثى . هذا وإن لاختلاف تربية الطفل عن الطفلة فى كثير من الوجوه مثل قص شعر الذكور وإرسال شعر الاناث وإلباس الذكور ملابس تختلف عن ملابس الاناث لأثراً قوياً فى انطباع كل من الطفل والطفلة بطابع خاص .

(٣) الحياة الجنسية البالغة : وفيها تبتدىء الصفات الجنسية تبرز بروزاً واضحاً وينتهى هذا الدور بسن المراهقة . ويكون طيش الشباب على أشده فى دور البلوغ .

(٤) الرجولة : وتبتدىء من سن المراهقة وفيها يكون الشخص فى أقصى قوته الجنسية كما أن تكوينه الجسمانى والعقلى يكون قد تم . ويصبح الشخص أشد رزانة وأكثر تحكماً فى أعصابه وإرادته ، ويستطيع كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء ويقدر مسئولية الحياة .

وتنطفىء شعلة الشباب فى سن اليأس التى تضع حداً لحياته الجنسية فلا يعود يدخر منها سوى ذكريات قد انقضى زمانها .

## الشذوذ الجنسى

الشذوذ الجنسى بالنسبة للغرض :

(١) حب الجنس Homosexuality (٢) حب القاصرين Immature (٣) حب الحيوان Bestiality (٤) حب المحارم (٥) حب الموتى (٦) حب النبات والجماد (٧) حب النفس (٨) الحب الخيالى

---

حب الجنس :

هو حب الذكور للذكور والاناث للاناث .

هناك فتاة لا تستطيع الاجتماع بعشيقها الا بعد أن تثير غريزتها الجنسية فتاة مثلها ، وهى تضطر صديقها الى الانتظار فى غرفتها ريثما تتصل بعشيقتها ثم تعود لتقضى لبانتها معه .

ومن أغرب ما سمعت حالة رجل كان يخجل من أن يدعو الرجال لاشباع رغباته الجنسية الشاذة فاستعاض عنهم بسيدة كان يلبسها حزاماً خاصاً يتدلى منه ما يحاكى أعضاء الرجال الجنسية من الكاوتشوك وكانت تأتيه كما لو كانت رجلاً !

ولا حاجة بى لأن أقص حكاية اللذة المزدوجة double plaisir فقد أصبحت معروفة لدى الكثيرين .

حب القاصرين : قد ترجع رغبة البعض فى حب القاصرين الى أنهم

ضعاف من الناحية الجنسية فهم لذلك يلتمسون فريسة ضعيفة . وقد ترجع رغبة البعض الآخر إلى مرضهم بحب السيطرة الجنسية فيكون القاصر بين براثنهم فريسة لاحول لها ولا قوة .

حب الحيوان Bestiality :

قد يكون حب الانسان للحيوان راجعاً إلى شدة حياء المحب من الجنس البشرى ، أو من خوفه من الأمراض السرية التى تصيب الانسان ، أو من حمل شريكته وما يترتب على ذلك من مسئوليات ، وقد يكون ذلك راجعاً لخلل شديد فى قواه العقلية أو من تشبعه بروح السيطرة الجنسية ، فمن هؤلاء من يلذ لهم الاتصال بالأوز مثلاً ، فيضع المحب أوزة فى جهاز خاص حتى لا تستطيع حراكاً إلا بمقدار . وعندما يقرب المحب من الرعشة الجنسية يضغط على آلة خاصة فيقتل الحيوان الذى يرتجف رجفة الموت فى نفس الوقت الذى يرتعش فيه الشخص الرعشة الجنسية !

وقد لاحظ أحد الناس أن بعض دجاجه ينفق يومياً فى عش على سطح منزله واتضح له أخيراً أن غلاما يتسرب إليها ليلا ويأتيها فتنفق .

حب المحارم :

يلجأ بعض المجاذيب إلى حب أبنائهم أو بناتهم حباً جنسياً ، وهناك أمثلة قليلة عن بنات حملن من آبائهن .

حب الموتى :

إن حب الموتى نادر ولكنه معروف . ومن محبى الموتى رجل لم يكن ليستطيع الحصول على فرائسه فاتخذ له معشوقة من الأحياء . وحين يشتاق إليها يضاجعها بعد أن يسلط عليها نورا أصفر ليكون لونها على غرار

لون الموتى . وقد عوّدها ألا تبدى أى أثر من آثار الحياة وأن تغمض جفنيها وتستسلم لسكون عميق .

وقد تعود هذه الرغبة إلى حب السيطرة الجنسية النسبية ، وقد ترجع الى أسباب أخرى .

حب النبات والجماد :

قد يعمد المريض بمرض عقلى إلى عشق شجرة مثلاً لاعتقاده أن روح معشوقته قد تقمصت فى تلك الشجرة .

وقد يعشق الجماد مثلاً شخص مصاب بالانحراف الجنسى fetichism ، وقد اطلعتُ أخيراً فى احدى المجلات الطبية على حالة تعدّ من الغرابة بمكان : وهى أن موظفاً ذا مركز حكومى هام يعشق القفازات البيضاء فما أن يرى شخصاً يرتديها حتى يتبعه ويعمد إلى لمس القفازات فيشعر بلذة كبيرة . وكثيراً ما كان يهمل عمله ليتتبع شخصاً يلبس قفازاً أبيض أنّى ذهب !

والسبب فى كلفه بالقفازات البيضاء أن مربيته كانت تعشق رجلا يختلى بها ويعانقها أمامه فى طفولته ، وكان العشيق يلهيه بقفازين أبيضين ليعبث بهما ويكف عن البكاء ! ومن الناس من يحبون التماثيل .

حب النفس :

قد يلذ للشخص أن يرى نفسه عارياً فى المرآة كما قد يحلو له رؤية ساقه أو أى جزء من جسمه ، ولا بد أن يكون مثل هذا الشخص مصاباً بخلل فى عقله .

اعتاد رجل أن يستعرض نفسه أمام المرآة مولياً لها ظهره بعد أن

يخفض الضوء فيخال جسمه المنعكس على صفحة المرآة جسم امرأة ، ويرى فى ذلك متعة من يرى جسم امرأة عارية .

## الحب الخيـــالى :

من المرضى بالأمراض العقلية من هم شـديدو العناد حيث يتشبثون بإتيان ضد ما يؤمرون به ، ومن هؤلاء من يغرمون بامرأة بعيدة المنال .

كلف مريض بقراءة تاريخ كليوباترة ، وما لبث أن أحبها وصنع لها تمثالاً من الشمع ، وكان يبثه ما بين آونة وأخرى لواعج حبه وغرامه .

وأعرف شخصاً كان يلفق قصصاً غرامية يجعل من نفسه بطلاً لها ويلذ له كثيراً أن يسرد هذه القصص على أصدقائه القليلين لأن فى سردها عليهم ما يشعره بأنها شبه حقيقية .

## الشذوذ الجنسى بالنسبة للوسيلة

### الانحراف الجنسى Fetichism :

قد يحب الشخص أشياء لا تمت إلى الجنس بصلة كالأحـذيه والقفازات والشعر والأسنان . وقد يتأثر بأشياء لا تسبب اللذة الجنسية عند الانسان مثل مواء القطط إبان الليل . وقـد ترجع أسباب الانحراف الجنسى إلى عوامل فى عهد الطفولة ، وهاك مثلاً على الانحراف الجنسى :

« كان أحد الأهالى يتريض فى مركبة مع زوجته فاقترب من العربة شاب يركب دراجة وسار مسافة طويلة محاذياً العربة ، ثم إذا به ينقض فجأة على قدم الزوجة فيخطف حذاءها من قدمها ويحاول الفرار ! »

« ولما سئل الشاب لم ينكر الحادث ، بل اعترف به وزعم أنه حينما يرى سيدة تركب عربة تتولاه نوبة من الجنون لا تهدأ الا اذا اختطف « فردة » حذائها واحتفظ بها ! »

« وقد فتش منزله ووجد به نحو خمسة أحذية تختلف لوناً وشكلاً وحجماً الخ . »

(٥) التشبه الجنسى Transvestism :

يولع المصاب بالتشبه الجنسى بارتداء ملابس الجنس الآخر أو تقليده فى طبائعه وعاداته . ولعل فى ارتداء مارلين ديترتش ملابس الرجال نزعة شعور مبدئى بهذه الرغبة . أما السبب فى تشبه شخص من جنس بشخص من الجنس الآخر فهو إما أن يكون راجعاً الى شدة شغفه بالجنس الذى يميل إلى محاكاته (ومن أحبَّ قوماً تشبه بهم ) ، وإما أن يكون أثراً من آثار الاستسلام الجنسى ( Mosochism ) فى حالة الرجال الذين يرتدون ملابس النساء ، كما قد يكون عائداً إلى السيطرة الجنسية (Sadism) فى حالة النساء اللاتى يرتدين ملابس الرجال ، وقد يميل البعضُ إلى ارتداء ملابس تماثل ملابس شخص معين من الجنس الآخر .

(٣) العرض الجنسى Exhibitionism :

يلذ للبعض الظهور عراة أمام الجنس الآخر أو إظهار أعضائهم الجنسية عمداً أمامه ، والسبب التحليلى فى كثير من الأحوال هو أن المفروض أن عرض شخص أعضاءه الجنسية أمام الجنس الآخر يسبب شغفه الجنسى ، وهذا من شأنه أن يحمل العارض على التلذذ من التفكير فى ذلك .

## المبالغة فى بعض الغرائز الجنسية

(١) المبالغة فى السيطرة الجنسية Sadism :

من الطبعى أن يشعر الرجل بسيطرته على المرأة فاذا بالغ فى إظهار هذه السيطرة بوسائل قوية أصبح شاذاً . أما حب القاصرين والقاصرات وحب الموتى فمن الأمثلة التى تدل على السيطرة النسبية .

ومن الرجال من يغرم مثلاً بالسيدات المصابات بعاهات مستديمة كالعور والعرج والعته ، ومنهم من يتعشقون العجائز على حد قول الشاعر :

تعشقتها شمطاء شاب وليدها وللناس فيما يعشقون مذاهبُ !

وهناك فريق من الرجال يحب النساء المتصفات ببعض صفات الرجولة ، كأن يكون صوتهن أجش أو أن يكون جسمهن ممتلئاً بالشعر ، أو أن تكون لهن لحى أو شوارب ، ويشعرون بلذة السيطرة على أمثالهن !

. ومن أغرب ما سمعت قصة سيدة كانت تعمد بمساعدة أعوانها من السيدات إلى إكراه زائراتها من الغادات الحسان على خلع ملابسهن الداخلية لتبصق على مواضع عفتهن !

وقد تكون الرغبة فى السيطرة غير مقصورة على العلاقات الجنسية ، وإنما قد تكون ممثلة بأجلى قوتها فى حب السيطرة فى شتى النواحى : فمن الأشخاص من يحلو لهم ضرب الناس أو التحكم فيهم ، ومنهم من يلذ لهم رؤية المجرمين ينفذ فيهم حكم الاعدام .

وربما حلت السيطرة العامة محل السيطرة الجنسية : فقد يعمد الرجل الضعيف من الوجهة الجنسية الى الظلم والاستبداد برؤسيه مثلاً ليغطى ضعفه الجنسى .

ومن الرجال مثلاً من يزهو بالاجتماع بعدد كبير من النساء ، كما يزهو الديك على الدجاجات فيختال تيها مطلقاً أنشودته الغرامية من

حـــين الى آخر .

(٢) المبالغة فى الأستسلام الجنسى Masochism :

يلذ لبعضهم أن يكون معذباً محتقراً وربما لجأ المريض إلى تعذيب نفسه بنفسه دون المسيطر عليه كأن يجرح نفسه بآلة حادة كما قد يلتجىء الى تحقير نفسه كأن يلوث نفسه بالطين . وكما يتفق أن تكون المرأة مريضة بالاستسلام الجنسي فقد يكون الرجل مريضاً به فيخضع المرأة ويجلس على حجرها كالطفل لتلاطفه .

حـدثنى صديق عن سيدة تحب الرجال ذوى المزاج العصبي وذوى القوام والتكوين اللذين يدلان على قوة البأس والمراس فكانت تستثيرهم بخلق أسباب لتكديرهم وكانت تقول لمن تختلى به بعد أن تقضى لبانتها منه « يلذ لى أن أراك كالأسد ونار الغضب تلتهب فى عينيك »

وهناك رجل لا تنتبه لديه الغريزة الجنسية إلا إذا عرضت عشيقته إسته للهيب شمعة موقدة .

ولابد لأولياء الامور ملاحظة نزعات أطفالهم إذ أن من الأطفال من يحلو لهم أن يضرَبوا أو يعـذَّبوا أو يُحتقروا فأمثال هؤلاء الأطفال معرضون لمرضهم بشذوذ الاستسلام الجنسى .

الملاحظون The Observationist

تلذ لبعضهم أن يرىَ جزءاً ما من جسم المرأة . ولا ريب أن فى شواطىء البحار مجالاً لهؤلاء ليستمتعوا برؤية المرأة وهى نصف عارية تمرح على الشاطىء أو مستلقية على الرمال . ومن الأشخاص من يلذ لهم

رؤية شخصين يتآتيان .

## الاستبدال Vecarious sexuality

ومن أروع حالات الشذوذ الجنسى ما نسميه بالاستبدال فقد كان يحلو لشخص ان يدخل الى أنفه أو حلقه اللىّ المعدى . وكان يمتنع عن تناول الطعام عمداً لكى يغذّى غذاء صناعياً بواسطة اللىّ المعدى ويتلذذ من ذلك تلذذاً جنسياً .

## الحب الرواثى Romantic love

يتفنن بعض الفنّانين والشعراء ومؤلفى القصص وسواهم فى إحاطة الجو الغرامى بشتى وسائل الأغراء . فمنهم من لا يحب الاجتماع بالمرأة إلا إذا كان نور الغرفة أزرق اللون أو أحمره ومنهم من يغير لون النور من وقت لآخر فى نفس الليلة فتارة يوقد المصباح الأزرق وطوراً يوقد الأحمر وأحياناً الأخضر وهلمّ جرّاً .

أعرف شخصاً كان يلذ له الاجتماع بعدة (سيدات) الواحدة بعد الأخرى فى نفس اليوم . غير أن عشيقة له لجأت الى حيلة لكى تحتفظ به لنفسها فقط فكانت تغيّر زيّها وتبدّل زينتها فى نفس الليلة مراراً ليتوهم أنه يجتمع بين الفينة والفينة بامرأة غير سابقتها .

وكان فنّان لا يضاجع امرأته إلا أمام منظر طبيعى كأن يكون إلى جانب غدير انعكس على صفحته نور القمر .

ويلذ لكثيرين إدارة آلة موسيقية أثناء العملية الجنسية حيث تتمشى حركاتهم مع نبرات الموسيقى .

وقد يعمد بعضهم إلى تزيين حوائط الغرفة بالمرايا وهم يشعرون بلذة

عظيمة عند ما يرون عدداً لا نهائياً من الكتل البشرية يشاركونهم فى استمتاعهم وشعورهم .

وأذكر انه كانت لاحد الملوك بحيرة من الزئبق ولم يكن أحب إليه من أن يرى الغانيات العاريات سابحات فيها .

## أسباب الشذوذ الجنسى

(أولاً) الشذوذ فى إفرازات الغدد الصّماء وما يتبع ذلك من التأثير على تكوين الجسم والشخصية .

(ثانياً) تأثير البيئة .

(ثالثاً) التكوين العصبي والعقلى الموروث فمن الناس من لهم استعداد وراثى خاص للشذوذ الجنسى .

## العلاج

إن الأغلبية الساحقة من الشاذين من الناحية الجنسية هم مرضى يحتاجون إلى العلاج لا مجرمون يستحقون العقاب . على أن وسائل العلاج عادة غير فعّالة خصوصاً إذا استحكم الشذوذ عهداً طويلاً فيكون جزءاً من شخصية الشاذ أو الشاذة . أما إذا كان حديث العهد فيمكن ردع الشخص وتعليمه ليستأنف حياة طبعية من الناحية الجنسية .

ملاحظة : لم نتكلم فى هذا الموضوع عن العادة السرية اكتفاء بما هو منشور عنها فى أبحاث أخرى .

# شذوذ الحافز الجنسى

إن رغبات الانسان الرئيسية ثلاث :

(١) رغبته فى الحياة : وهذه تحفزه إلى الكد لا كتساب القوت

والمحافظة على صحته وكيانه من الأمراض والأخطار إلى غير ذلك .

(٢) رغبته فى التناسل : وهذه تحفزه إلى حب المرأة وحب أولاده وإقدامه على تعليمهم وصيانتهم من الأمراض والأخطار إلى غير ذلك .

(٣) رغبته فى التعاون مع المجتمع : وهذه تحفزه إلى الامتثال للقوانين وإطاعة الرؤساء والبر بالفقراء إلى غير ذلك .

وينجم عن شذوذ الرغبة الأولى الميل إلى الانتحار - أو إلى تعذيب النفس كما هو الحال فى « الماسوشزم » أو إلى التقشف والزهد .

ويترتب على شذوذ الرغبة الثانية بغض المرأة والنسل وكره الزواج فى حد ذاته . والواقع أنه ليس من الحكمة أن تعتبر المرأة شيطاناً يوسوس فى صدورنا أو أن نقف منها موقف الأستاذ توفيق الحكيم « عدو المرأة ».

ويؤدى شذوذ الرغبة الثالثة إلى الميل للوحدة أو العيش فى الكهوف القاصية أو فى الجبال فى وحشية مريرة وهذا شذوذ سلبى ، أما الشذوذ الإيجابى فهو محاولة الشخص تكوين جمعيات للتآمر والأجرام أو فى تكوين شيع لأغراض شاذة ضارة كما يحدث فى الولايات المتحدة فلقد قال مراسل الأهرام فى نيويورك أن هناك شيعة الوثابين القديسين الذين يلفظون صلواتهم بين الوثب والقفز وشيعة المتدحرجين المقدسين الذين يتدحرجون بطناً لظهر فى غضون الصلاة والترانيم وشيعة المطبلين والمزمرين وهلم جرا والعجب أن تجد هذه الشيع انصاراً فى بلاد المدنية والنور .

# مظاهر السعادة و الشقاء فى الجنون

يقول الشاعر العربى « ما لذّة العيش إلاّ المجانين »

غير أنى أقول أن هذا لا ينطبق على الاغلبية الساحقة من المرضى بالامراض العقلية ، وإنما قد يشعر القليل منهم بسعادة وقتية لا تلبث أن تجرفها سيول البؤس والشقاء .

إن كثيرين من الذين يصور لهم جنونهم أنهم ملوك أو أمراء أو من كبار القواد الخ لا يشعرون بالسعادة والجاه المفروض أن يتمتع بهما هؤلاء بل تنغص حياتهم اعتقادات وهمية عن مؤامرات تدبر حولهم للايقاع بهم كما هو الحال فى مرض « البارانويا » على أن المريض الذى يعتقد انه ملك عظيم الشأن قد يسأل الناس أن يجودوا عليه بقرش أو بمليم ليبتاع لقمة يتبلغ بها أو لفّافة تبغ يدخنها .

وقد يعتقد مرضى ( شلل المجنون العام ) أنهم أوتوا قوة الجبابرة أو أنهم من سلالات الملوك أو من كبار الاغنياء فيباهون بأنّهم يملكون أغلى السيارات وأفخم القصور ، وقد يشعر بعضهم بسعادة حقيقية فى مستهل مرضهم غير أن هذه السعادة لا تلبث أن تنقشع إذ قد تعتريهم نوبات صرعية وينتهى أمرهم بأن يصبحوا فريسة الشلل الذى يهوى بهم الى حضيض الموت .

ومن النساء المصابات بهذا المرض من يشعرن أنهن ملكات الجمال أو أن لهن أجمل السيقان أو أبهى الظهور أو افتن النهود فيعرضن هذه الأعضاء للملأ وهنّ فى مباهاتهن بها يشعرن بسعادة كبيرة ولكنها لا تدوم .

ملوك المجانين تعساء فما بال رعاياهم !

قد يضحك المجاذيب وقد يكونون سعداء فى بعض الاحوال ولكن سعادتهم عادة سطحية لأن شعورهم قليل الغور وتفكيرهم محصور فى دائرة ضيقة .

من الحالات الطريفة التى ورد ذكرها فى تقرير مستشفى الأمراض العقلية الأخير حالة شخص مصروع انقلبت نوبات الصرع لديه إلى نوبات ضحك وقهقهة مصحوبة بنحيب ، فهذا الضحك ضحك تشنجى لا سعادة فيه وإنما فيه شقاء وعذاب .

شاهدت معتوهاً عالقاً بالترام ، تارة ينفرج فمه عن ضحكات متتالية وطورا يرتسم على وجهه العبوس من دون ما داع .

والواقع أنه لم يكن سعيداً بضحكه ولا شقياً بعبوسه ، فكل من هذا الضحك والعبوس لا يمليه الشعور والوجدان .

وقد يعمد المريض بالهوس إلى الضحك والرقص والغناء ليسرّى عن أعصابه الهائجة ببذل طاقة جسمانية كبيرة تتناسب مع شدة تهيجه المخى .

أعرف شخصاً مصاباً بمرض التصلب المنثور شُلّت اعضاؤه وضعف بصره وانعقد لسانه ، إذا سمع نكتة ضحك ثم لا يلبث أن يستمر على الضحك آليا من دون إرادته فأى سعادة فى ضحك شخص يموت موتاً بطيئاً !

السعادة والنوم : المعروف أن النوع العميق وليد خلو البال من الهموم غير أنى أعرف أشخاصاً ينامون نوماً عميقاً إذا ما تهافتت عليهم الهموم فهم يقتلون الهمّ بالنوم .

وقد ينام طويلاً المرضى بالأمراض العقلية خصوصاً فى الحالات المزمنة حيث يكونون قد فقدوا جزءاً كبيراً من قواهم العقلية وفى بعض

الحالات يكون نوم المرضى أقرب إلى الذهول منه إلى النوم إذ تضرب فيه المراكز العليا فى المخ عن العمل، ونستطيع أن نسمى هذه الحالة بالذهول Stupor وهى إما أن تنشأ عن إجهاد عقلى شديد أو من إفراط سرى وقد تتناوب مع نوبات الهوس والملاخوليا ، كما قد تصيب المصروعين والمصابين بشلل المجنون العام والعتة المبكر . وتمتاز هذه الظاهرة بأن يفقد الوجه سيماءه ويحملق المريض فى الفضاء فى ذهول ويمتنع عن الكلام والحركة وتناول الطعام وتنطفىء عواطفه وإرادته .

ولو تصورنا مريضاً تحت تأثير هذه الظاهرة ملقىً على الأرض ورفع شخص ساقَ المريض مثلاً من الأرض فهذا العضو يرتد ثانية إلى الأرض بقوة الجاذبية من ضعف التوتر العضلى Hypotonia كما قد يبقى معلقاً فى الهواء فى الوضع الذى ترك فيه Catulepsy كما يشاهد فى بعض حالات العتة المبكر .

وقد تحدث فى بعض حالات التهاب المخ السباتى ظواهر غريبة إذ قد ينام المريض من وقت لآخر بدون إرادته فى أثناء صعوده أو هبوطه فى المصعد الكهربائى Narcolepsy . مثلا .

مظاهر الشقاء : لعل أشقى المرضى بالجنون مرضى (الملاخوليا) الذين يشعرون أن جميع عناصر الطبيعة ضدهم فقد يعتقدون مثلاً أن الانسان والحيوان والجماد ينظرون إليهم شزراً وأن الله سيصب جام غضبه عليهم أو أنهم أصبحوا أدنى مرتبة من الحيوان أو مشوهى الخلقة فكل عضو من أعضائهم ليس فى مكانه الطبعى ليكونوا أعجوبة العالم . وقد يتوهم بعضهم أن الجو المحيط بهم مشبع بالغازات الخانقة ، وقد يشكون فى حقيقة الأشخاص المحيطين بهم إذ قد يكونون فى عرفهم شياطين فى

صورة آدميين أتوا للوسوسة فى صدورهم .

وكثيراً ما يكون المرض العقلى ناتجاً من أمراض جسمانيـة وبيلة أو مشفوعاً بها : فشلل المجنون العام وليـد الزهرى وينتقى عادة الأذكياء من الأشخاص وخصوصاً الذكور .

هذا وإن المصاب بالجنون الخلطى الحاد يكون هزيلاً ضعيفاً على أثر الأنفلونزا أو البلاجرا أو غيرهما من الأمراض المنهكة للقوى .

ومن المـرضى بالأمراض العقليـة من تصيبهم عيوب فى تكوينهم الجسمانى كجحوظ العيون والتواء السيقان وانتفاخ البطون وتفرق الأسنان وانبعاج الأنوف وتشوه الآذان وقد يقل أو يزيد عدد أصابع الأقدام والأيدى عن العدد الطبعى .

ومن مظاهر الشقاء ما يبدو على المرضى المزمنين بالهوس أو الملاخوليا أو سواهما إذ يصبحون قذرى العادات وقد يأكلون المـواد البرازية أو يضعون الحيوانات المتعفنة كالفئران والقطيطات فى جيوبهم .

وأختم هذه الـكلمة بقولى « ما لوعة العيش إلا للمجانين » .

# الانتحـــــار

تقضى سنة الطبيعة أن يحـافظ كل كائن نباتاً كان أو حيواناً على كيانه ثم على كيان ذراريه فالأنسان الذى يطلب الموت قبل الأوان إنمـا يأتى أمراً شاذاً إذ المفروض عليه أن يـكافح فى سبيل الحياة جرياً على سنة تنازع البقاء إلى أن يقضى الموت عليه .

إن العسر المالى والخسائر الفادحة مثلاً لا تلجىء الانسان بمفردها إلى الانتحار بل لا بد أن يكون له أستعداد خاص للانتحار مكتسباً كان أو وراثياً حتى تهون نفسه عليه فيفضل الموت .

وهناك أعتقاد سائد هو أن المنتحر تعتريه نوبة جنونية تدفعه إلى إزهاق روحه . ومع أنى لا أنكر أن الدافع لبعض المنتحرين إلى الانتحار نوبات جنونية وقتية أقول أن الأغلبية الساحقة منهم يقدمون عليه وهم مالكون لقواهم العقلية وإنما يكونون فى حالة عصبية تختلف شدتها باختلاف الظروف والملابسات وتبعاً لتكوينهم العصبى .

وقد وجد أن الأشخاص الذين ينتحرون بأطلاق المسدسات على أنفسهم يظلون قابضين على هذه المسدسات بعد موتهم قبضات تشنجية وتسمى (Cadaverie spasm) .

ويتمنى بعض الناس الموت وإن كانوا لا يجرأون على الانتحار ولو كان يباع لهم الموت من دون ألم أو عذاب لاشتروه بما يملكون .

وقد يقدم جبارو النفوس أو أقوياء الشخصيات أو الفلاسفة على الانتحار وهم فى حالة هادئة أو فى حالة عصبية بسيطة .

ولاريب فى أن هانيبال قد استقبل الموت هادئاً وقد رأى عندما كسره الرومان أنه لا بد أن يموت فمات .

يقدم بعض المرضى بالأمراض العقلية على الانتحار مثل مرض السوداء (الملاخوليا) أو الأمراض العقلية الأخرى المشربة بشعور سوداوى .

يصاب المريض بالسوداء بالكآبة وتعتريه أفكار حزينة يائسة فيعتقد مثلاً أن الله غاضب عليه أو أنه فى وقت الحشر وسيدخل نار جهنم أو أن الناس ينظرون إليه شزراً لأنه مخلوق وضيع . وقد يعتقد أن

الطعام الذى يقدم اليه مطبوخ بدماء القتلى أو أن أقاربه يُذبحون الواحد بعد الآخر وهلمَّ جرًّا . فمثل هذه الأفكار السوداء تجعله لا يطيق الحياة وقد يقدم على الانتحار . وأعرف مريضة من هذا النوع حاولت الانتحار بشد شعرها حول عنقها .

وقد يحاول الانتحار مرضى ( البارانويا ) حينما يستولى عليهم اليأس من الوصول مثلاً إلى الدرجة التى تتفق مع عظمتهم الموهومة فأذا كان المريض يعتقد أنه الوارث الشرعى للعرش ورأى أنه لا يستطيع الوصول إلى أريكة الحكم لشدة مقاومة أعدائه الموهومين ربما أقدم على الانتحار !

ويصاب بعض أفراد من نسل شخص مريض بالجنون السوداوى بالميل الى الانتحار لأتفه الأسباب مع أنهم قد يكونون طبعيين من كل الوجوه الأخرى .

ويلجأ بعض ضعاف الأعصاب (المرضى بالنورستانيا ) إلى الانتحار لأنهم يشعرون أنهم لا يستطيعون أن يتمشوا مع زملائهم فى مضمار الحياة .

وهناك حالات انتحار يمكن أن نسميها ( انتحار من غير قصد ) فالمريض المصاب بالهوس الذى يلجأ الى العنف والاندفاع الطائش قد يلقى بنفسه الى التهلكة من دون قصد كأن يصطدم مثلاً بالترام أو يقع من علو شاهق . كما أن من المرضى من يفقد قوة إدراك محافظته على كيانه فقد يتعرض للخطر من دون أن يدرك ماهيته أى أنه إذا كان واقفاً مثلاً على قضيب السكة الحديدية لا يتزحزح من مكانه حين يرى القطار قادماً عليه لأنه لا يدرك أن القطار إذا دهمه قتله .

وقد يحدث للمصروع بدل نوبات الصرع نوبات هوس شديدة أو يفقد شخصيته الأصلية مؤقتاً ويكتسب شخصية أخرى (Automatism) .

وقد لا يتعرض لأخطار مميتة فى أثناء هذه النوبات .

ومن أسباب الانتحار الهامة انفعالات دفينة فى العقل الباطن كما هو الحال فى القلق العصبى وغيره من الأمراض النفسائية .

إن نسبة عدد المنتحرين فى المدن التى بلغت شأناً كبيراً فى الرقى أكبر بكثير منها فى القرى والمدن الصغيرة . فالرجل المتمدين ينهك قواه العقلية أكثر من الرجل الريفى فضلاً عن كونه شديد الطموح ويحاول عادة أن يظهر بمظهر أكبر من أن تتحمله حالته المادية مما يؤدى الى ارتباكه مادياً وأدبياً . أما الرجل الريفى فهو يقنع عادة بالكفاف كما أن طبيعة عمله لا تحتاج إلى استعمال قواه العقلية إلا فى عمليات بسيطة وعلاوة على ذلك فهو أشد استسلاماً للقضاء والقدر من الشخص المتمدين .

## مرض الانتحار

يكتمل نمو العقل والجسم فى نهاية دور المراهقة حينما يقدر الأنسان مسؤولية الحياة مستقبلاً دور الرجولة . غير أن بعض المراهقين لا يستطيعون مجاراة زملائهم فى التحول فمنهم من يكون فرائس لبعض الأمراض العقلية كجنون المراهقة ( الجنون المبكر ) ومنهم من يصاب بحالات عصبية من السهل الشفاء منها كالخور العصبى ( النورستانيا ) . وفى دور المراهقة تنشأ عادة الرغبة فى الانتحار ، أولاً لأن التحول الذى يحدث فى هذا الدور يستلزم نشاطاً كبيراً ودقيقاً فى الغدد الصماء ، وكل ضعف فى هذا النشاط قد يؤدى الى أعراض جسمانية أو عقلية أو نفسانية . ثانياً . إن هذا الدور هو دور انتقال اجتماعى وفكرى ففيه تنمو مطامح الحياة وتنهك القوى العقلية والجسمانية لبلوغ الآمال . فالشخص الذى لا يستطيع أن يحقق آماله قد يسقط فى الميدان ويتمنى الموت .

وينتشر الانتحار فى دور المراهقة والرجولة ، فالأخير هو دور الشعور بالمسؤوليات ومجابهة الصعاب والأهوال التى إن لم يقطعها الانسان قطعته .

وقد يعمد الأطفال الى الانتحار بتأثير عوامل قوية كالتعذيب أو عند الحيلولة دون تنفيذ ما يشتهون كحبس الطفل مثلاً فى غرفة مدة كبيرة .

وأقل الناس ميلاً إلى الانتحار بعد الأطفال هم الشيوخ إذ يكونون قد مرت بهم كل أدوار الحياة واحتملوها بصبر . أما الشيوخ الذين ينتحرون فأنما يفعلون ذلك بتأثير حوادث طارئة قوية ولو درسنا تاريخ حياة بعضهم لألفينا أنهم حاولوا الانتحار فى الشباب وأخفقوا أو أسعفوا .

ولا يقل عدد الاناث اللاتى هن على استعداد للانتحار عن عدد الذكور . والسبب فى قلة عدد اللواتى يقدمن منهن على الانتحار أنهن أقل اقداما وجرأة من الذكور كما أن الذكور أشد اتصالا بأهوال الحياة ومسؤولياتها .

## وسائل الانتحار

تعددت وسائل الانتحار بتحول المدنية إذ يلجأ البعض إلى استعمال الغازات الخانقة أو الكهرباء أو الحقن بالجراثيم الشديدة الوطأة . وأرى أنه من الضار تعداد كل وسائل الانتحار لأننا إنما نتوخى الاقلال من حوادثه لا التشجيع عليه .

ومن أغرب حوادث الانتحار أن يتفق عشيقان على الأنتحار فى وقت واحد . ومن المنتحرين من يلجأون الى وسائل غاية فى الفظاعة للقضاء على حياتهم فمنهم من يذبحون أنفسهم من أمام الرقبة حتى يبلغوا العمود الفقرى قاطعين أغلب الأنسجة الرخوة التى بالرقبة . ومنهم من

يعمد إلى الانتحار البطىء فى هدوء كأن يقطع أحد شرايينه ثم يعيد مثلاً السكين التى قطع بها الشريان إلى مكانها ويعود إلى سريره ينتظر لحظة الموت الرهيبة .

ومن الفتيات أو السيدات من يلبسن أحسن ثيابهن ويقمن بعملية التجميل « التواليت » قبل الانتحار .

ويعمد بعض الأشخاص إلى الانتحار أمام المرآة كأنما يودعون أنفسهم قبل أن يطويهم الموت .

ومن الناس من تتعدد وسائل انتحارهم كأن يلجأ المنتحر إلى إلقاء نفسه تحت عجلات الترام بعد أن يكون قد شرب السمّ وهلمّ جرّاً

## الاستعداد المكتسب للانتحار

قد ينشأ الميل إلى الانتحار بعد الشفاء من الحميات كالتيفودية أو بعد حصول ارتجاج مخى أو من الافراط فى شرب الخمر وتناول السموم البيضاء .

## الانتحار الكاذب

يعمد بعض الناس إلى إيهام غيرهم أنهم يريدون التخلص من الحياة لاستدرار عطفهم كأن يشرب مدعى الانتحار قليلاً من حمض الفنيك المخفف .

## أسباب الانتحار الخفية

وهنالك أسباب خفية لا تذكر عادة فى الأحصائيات عن الانتحار فبعض الذين ينقذون من الانتحار أو الذين يكتبون رسائل قبيل انتحارهم لا يعترفون بدواعى إقدامهم على قتل نفوسهم وربما علّلوا ذلك بأسباب

مخالفة للأسباب الحقيقية فمنهم من ينتحر لضعف قوتهم الجنسية أو لدمامة خلقتهم أو من وخز الضمير من ذنب أو جرم ارتكبوه فى ساعة طائشة .

## الانتحار وبقاء الأصلح والأقوى

لامشاحة فى أن الميل إلى الانتحار ضعف وشذوذ فالطبيعة تريد أن تتخلص من هذه الفئة لكى لا يبقى ويتناسل إلا الأقوى والأصلح للبقاء ولا أقصد بذلك أن أشجع المنتحرين على الانتحار بل بالعكس فأنا أنهى عنه بكل قوتى لأنه جريمة كبيرة .

هذا وإن كثيرين من ذوى الميل إلى الانتحار قد يكونون أصحاب مواهب عقلية سامية ولعمرى إن الشخص الذكى الذى يستهين بالموت يستطيع أن يقوم بأعمال جليلة تعود عليه وعلى المجتمع بأعظم الفوائد .

وأترك فى الختام لعلماء الاجتماع تناول الموضوع من الناحية الأجتماعية ليرشدوا الحكومة والأمة إلى الوسائل الناجعة لتخفيف وطأة هذا الداء الوبيل .

# لعنة الفراعنة

ذكرت « الأهرام أن جريدة « الديلى ميل » نشرت لمكاتبها فى أدنبره رسالةً ذكر فيها حوادث غريبة وقعت فى دار السر الكسندر سيتون فقد وجدت زهرية للورد مقلوبة على البساط وقد انتثر منها على الأرض رشاش يشبه الدماء !

وقد أخبر السر الكسندر المكاتب أنه اضطرب لهذا الحادث لأن

سيدة كانت فى ضيافته فى الليلة السابقة تحمل قدحاً فى الغرفة نفسها فقفز من يدها وكاد يصيب السقف قبل أن يسقط على الارض!

أما قطعة العظام التى أخذت من إحدى مقابر الفراعنة فى الجيزة والتى يعتقد أنها كانت أصل كل هذا البلاء فليست فى المنزل الخ.

وتعليقا على ذلك أقول أن الذين يزعمون أنهم رأوا أمثال هذه الحوادث واهمون، وما هذه الحوادث إلا أمثلة من الهلوسة (Hallucination) والتشبيه (Illusion) على نحو ما يحدث للمصابين بالامراض العقلية.

والهلوسة هى الاحساس بشىء غير موجود أبداً كأن يرى الانسان نمراً يريد افتراسه مع عدم وجود هذا النمر، أو أن يسمع صوتاً يهدده بالقتل دون أن يكون هناك صوت ما.

أما التشبيه فهو أن يستوعب الانسان شيئاً موجوداً ولكن على غير حقيقته كأن يرى الانسان قطة فيتوهمها نمراً!

وقد ذكرتنى مسألة الوشاش الذى يشبه الدماء والذى انتشر من الزهرية على الأرض هلوسة مريضة بالملاخوليا كانت تعتقد أن الكاكاو الذى يقدم إليها لم يكن إلا دماً مسفوكاً مع أن لون الكاكاو يختلف اختلافاً كبيراً عن لون الدم!

ولا أقصد بذلك أن أقول أن السر الكسندر مجنون ولكنى لا أشك فى أنه عصبى المزاج ملاخولى التفكير.

أما القدح الذى قفز من يد مضيفته وكاد يصيب السقف قبل أن يسقط على الأرض فأمره عجيب حقاً، ولكن إذا كان القدح قد كاد يبلغ السقف فالسيدة هى التى قذفته وليس هو الذى قفز.

على أن هناك احتمالاً آخر وهو أن حالته العصبية ومخاوفه الدفينة هى التى صورت له قذف القدح نحو السقف قبل أن يسقط على الأرض وهذا من قبيل التشبيه البصرى (Visual Illusion).

وهاك مثلاً عن الوهم السمعى فقد يحدث أن رجلاً ينتظر عشيقته فى مقصورة له فى ليلة ثائرة الرياح يخيل إليه حين يحين الموعد أن رج الرياح للأبواب والنوافذ ليس إلاَّ وقع أقدام عشيقته على الأرض فيقول مثلاً « ها هى قد دخلت الحديقة ، الآن تصعد على درجات السلم ، إنها بالباب تطرقه » فيهم بفتح الباب ولكنه لا يجدها فيعود خائباً ، وقد يتكرر ذلك مراراً فى الليلة نفسها !

# طرائف من مشاهداتى

## (١) فى مدينة المجاذيب « العباسية »

لازلت أذكر مدينة المجاذيب التى كنت طبيباً بها . وقد استقبلت استقبالاً رائعاً من أهل هذه المدينة العظيمة وحدث أن دخلت قاعة يتناول فيها بعض المجذوبات الطعام فألقت إحداهن « الصلصة » على ملابسى وأطلقت ضحكةً عاليةً اهتزت لها أرجاء القاعة وما لبثت أن سرت العدوى إلى زميلاتها فانطلقن دفعة واحدة يرمينى بالصلصة ، وأترك لخيال القارىء تصوُّر هذا المنظر الغريب على أنى انسحبت بانتظام وأقسمت ألاَّ أدخل عليهنَّ وهنَّ يتناولن الطعام !

وكثيراً ما يرمى بعض المجاذيب البعض الآخر بالجنون كما أنهم يقلدون لى حركاتهم ويقصون علىَّ أقوالهم هازئين منهم مدهوشين من غرابة أعمالهم .

وكنت إذا دخلت إلى الفناء الذى يتريض فيه المجاذيب يهجم على بعضهم وهم فى حالة تهيج شديد ، غير أن زملاءهم الذين يكونون فى حالة تنبه عقلى كانوا يصدونهم مستبسلين فى دفاعهم لأنهم يعلمون أنه لا يسمح لهم بمغادرة المستشفى إلا إذا كانت مذكراتى عنهم مرضية فهم لذلك يتزلفون إلىّ .

ولا أكون مغالياً إذا قلت أن أمنية الأغلبية الساحقة من مرضى المستشفى هى مغادرته . على أن قليلين من المرضى يفدون إلى المستشفى من الخارج متطوعين إذ أنهم تحلو لهم الاقامة فيه .

ولا بد أن أذكر أن كثيرات من المجذوبات ومنهن من بلغن من السن أرذله كن يعشقننى وقد كنت أخشى قبلاتهن . فكما أن الفم يقبل فهو يعض .

ومن المجذوبات من يُجدن العزف على البيانو وسواه من آلات الطرب . ومن المجاذيب من هم بارعون فى لعبة الشطرنج وخصوصاً المرضى بجنون العظمة « البارانويا » لأنهم يحتفظون بجزء كبير من ذكائهم .

وكان لسيدة غجرية من المرضى صوت رخيم فكانت تنشد لى أناشيد لطيفة ولكنها لا تغرب عنى حتى تأخذ أجرها منى .

ويساعد بعض المرضى الممرضين والممرضات والخدم فى أعمالهم فيقومون بغسيل الملابس وإعداد الطعام وتنظيف القاعات وهلمّ جرّا .

## ( ٢ ) لماذا يعذب مرؤوسيه ؟

رأس صغيرة قمعية الشكل وفك قوى ذو أسنان كبيرة ويدان طويلتان تكادان تبلغان الركبتين فى حال انتصاب القامة وجسم قوى مفتول

ولكن لا تناسب فيه ولا انسجام . وبالاختصار شكل آدمى يشبه الغورلاّ فى كثير من الوجوه .

ولأول وهلة رأيت هذا الشخص حكمت عيه أنه لا بد أن يكون شاذّاً فى عقله شرساً فى طباعه . ولقد أحسست برغبة ملحة فى تحليل هذه الشخصية الغريبة الغامضة التى أطلق عليها ظريف لقب ( كنج كونج ) .

ترتب على سوء خلقة هذا الرجل ودمامته احتقار الناس له فأحسّ بذلك إحساساً عميقاً ونقم على البيئة وأساء الظن بمن يحيطون به فإذا رأى قوماً يتهامسون خُيّل إليه أنهم يتحدثون عنه بسوء وأنهم يكيدون له كيداً ، وإذا لم يحيه أحد من معارفه فى الطريق اعتقد أنه يتعامى قصداً عن رؤيته ازدراء لشأنه . فشبّ على كره الناس وترعرعت فيه نزعة حب الانتقام فأخذ يتآمر عليهم ويدس لهم وهو يشعر بلذة عظيمة عندما يرى الناس يقعون فى حبائله وشراكه ، وكثيراً ما تعدى على الناس بالضرب والركل لأوهن الأسباب مظهراً بذلك جبروته ليخشوا بأسه وينحنوا إجلالاً له .

كانت الظروف مواتية فارتقى هذا الموظف إلى مرتبة كبيرة وأصبح ذا حول وطول وكوّن له حاشية من صغار الموظفين ورقّاهم ليخلصوا له واستغلّهم فى التجسس وتدبير المؤامرات وفعلاً تم له الايقاع بكثير من الموظفين بتهم ملفقة وشاهدى زور من أعوانه .

وقد بلغ سوء ظنه حدّاً جعله يدوّن فى مذكرة لديه سقطات أعوانه حتى إذا انقلبوا عليه انتقم منهم .

وليس أحب الى هذا الموظف من أن يوقع بموظف مسكين فيحقق معه التحقيقات الطويلة لأوهى الأسباب ليظهر له قوة سيطرته وليكون عبرة

لمن اعتبر . وهو يشعر بنفس اللذة التى يشعر بها المصاب بداء السيطرة الجنسية عند ما يرى فريسته تتعذب والدماء تسيل منها .

## ( ٣ ) مريض مهيج

بينما كنت أجرى الكشف الطبي على مريض فى طرف إحدى قاعات المرضى بمستشفى قصر العينى رأيت مريضاً فى الطرف الآخر يحدث ضجة وينادينى كأن حادثاً جللا قد حلَّ به فأسرعت إليه ولكنه قال لى ببرود « إن عندى بواسير » .

فقلت له « ليكن »

قال « إنه ينزف منها قليل من الدم من وقت الى آخر »

فقلت « ليس هذا غريباً ولكن لماذا ناديتنى ؟ »

قال « لأعلم فقط ما إذا كان الدم الذى ينزف منى وريديّاً أم شريانيّاً ؟ »

ولكنى لم أحر جواباً وعدت إلى مريضى لأستأنف الكشف الطبي عليه .

## ( ٤ ) أنا ومنظف الأحذية

وقفت لحظة أنتظر الترام وأنا فى غاية القلق لأنى تأخرت عن موعد عملى وإذا بمنظف الأحذية يمر بى ويطلب منى أن يقوم بتنظيف حذائى ولكننى كنت فى واد وهو فى واد فقلت له « أبونيه » !

إذ لم أكن أفكر إلا فى الترام وخيِّل إلى أن صوت ماسح الأحذية لم يكن إلاَّ صوت « الكمسارى » أو المفتش .

## (٥) مجنون أم مدير المستشفى ؟

صحبت أحد المهندسين إلى أحد مستشفيات الأمراض العقلية بالاسكندرية

لمعاينة الأجراءات الصحية . وقد رأينا فى حديقة المستشفى كثيرين من المجاذيب وكل منهم فى شأن . ثم رأينا شخصاً قادماً فقال لى المهندس « إننى أخشى أن يكون هذا مجذوباً فيعتدى علينا »

فقلت له « ربما »

فاصطكت ركبتاه الواحدة بالاخرى ولكنه استطاع أن يقول لى وهو يرتجف .

« أنت طبيب المجانين فلا بد أن تعرف إن كان مجنوناً أم لا ؟

وكان الشخص قد وصل . فقلت له « نريد مقابلة مدير المستشفى »

فقال لنا « إننى هو »

فسار معنا هذا الشخص وهو لا يتكلم إلا قليلاً وساعدنا على معاينة الأجراءات الصحية وقد كنا ننظر إليه باحتراس خوفا من أن يكون مريضاً .

وإلى الآن لا أدرى ولا يدرى صاحبى ما إذا كان هذا الشخص مدير المستشفى أم مجذوباً من مجاذيبه فقد كان كلامه معقولاً وكثيراً ما يكون كلام المجاذيب معقولاً فى فترات تنبههم .

## ﴿ غـــرام خيالى ﴾

كان لى زميل فى الدراسه يصور لنفسه أنه معبود النساء فما من غادة تراه إلا وتقع فى هواه وكان كثير التحدث لاخصائه عن ضحاياه من الغيد اللاتى ينتمين الى العائلات الكبيرة .

وكثيراً ما كان يبرز من جيوبه خطابات — بخط يده — على أنها منهن يخطبن فيها وده ويستدررن عطف قلبه .

كنت أجد فى مجالسته شيئاً من التسلية فكنت أتظاهر بانى أصدق جميع ما يقوله لى وحملته مرونتى على الأغراق فى التحدث عن مغامراته الغرامية وكيف أن الفتيات يرتمين عند موطىء قدميه استدراراً لعطفه ورضائه !

أما زملائى فكانوا يهزأون منه ويتهكمون عليه فكنت ألومهم على ذلك قائلاً لهم إنه وإن كانت له ناحية ضعف فأن له ناحية قوة إذ كان صاحبى هذا فنّاناً بارعاً وكان من أبدع رسومه رسم الفلاحات يملأن جرارهن على ضفاف النيل والشمس على وشك الغروب .

كان ناقماً على الحياة لأن أفكاره لا تلائم أفكار زملائه وروحه لا تتفق مع روحهم فكان يميل الى العزلة مستسلماً لتفكير عميق فى شؤون الحب والجمال . وكما كان يخلق من فنه صوراً بديعة يوحى بها الخيال كان يصور لنفسه قصصاً خيالية غرامية يجعل من نفسه بطلاً لها ويحاول أن يشعر نفسه بأنها حقيقية إذ أنه لشذوذه كان لا يجد من الفتيات من تمنحه قلبها .

## حكمة على لسان مجنون

رأيت رجلاً بديناً ذا هيبة ووقار يلبس اللباس الافرنجى وقد جلس القرفصاء على الأرض فى فناء أحد أقسام البوليس وأوثق بما يسمى « قميص الأكتاف »

شعرت بألم يحز فى نفسى وسألت ضابط البوليس عمّا فعله هذا الرجل .

فقال إنه ذو مركز كبير فى شركة من شركات البترول وأصابته نوبة جنون فأخذ يعتدى على الناس بالضرب والسباب .

دنوت من المريض وسألته : ما أتى بك إلى هنا ؟

فنظر إلىّ باحتقار وقال : من أنت ؟

ثم أدار بصره عنى غير عابىء بى .

قلت له : « الطبيب »

فرمقنى بنظرة كأنه يقول لى إنى أحتقرك وأحتقر هذه الحياة !

لاحظت أن الرجل يفهم ما يحيط به ولكنه فى حالة عصبية شديدة فربتُّ على كتفه وأظهرت له عطفى عليه وهدّأت من روعه وبعد ما كشفت عنه طبيّاً نظر إلىّ وقال بصوت حزين :

« إننى لا أحزن على نفسى لأننى سأموت ... بل لأنى نشأت فى هذه الحياة »

وبكى كثيراً .

## يضحك للموت

دخل علىّ فى مكتبى عجوز يناهز الثمانين من العمر وهو يضحك ويقول :

« انظروا إلىّ . إننى عجوز وسأموت قريباً ... هاها ... هاها »

قلت له « وماذا تريد ؟ »

فقال « أريد أن أحقن بالطعم الواقى من الحمى التيفوئيدية »

قلت له « لقد بلغت من السن عتيّاً فلا تخش من التيفوئيدية »

فأصرّ على أن يحقن كما يفعل جميع الناس . فطلبت منه أن يكشف عن ذراعه فقال « أىّ ذراع . ألمشلولة أم السليم ؟ »

فقلت له « كما تريد » وشكـته بالأبرة من دون أن احقنه بشيء من الطعم .

ثم عاد لقصته الأولى وقال « ألا ترى أننى عجوز ؟ »

قلت « نعم »

قال « إننى فقير كما ترانى »

قلت « هل تريد شيئاً من النقود » فأبى ثم قال بسذاجه « إننى أنام فوق سطح المنزل والبواب ينام فى أسفله »

وحينئذ أخرجت قطعة من النقود وأردت أن انفحه بها فقال « لا أريد مساعدة ما . إننى سأموت لأنى عجوز كما ترانى . . هاها . . هاها »

ومضى فى سبيله وهو مغرق فى الضحك !

## يقرأ فى الماء

يشرف منزلى على شاطىء البحر فى اسبورتنج وليس أحب إلىّ من أن أسرّح الطرف فى الفضاء المتسع وفى الرمال العسجدية وفى البحر الجميل الآخذ بمجامع القلوب وفى طريق الكورنيش الملتوى كالأفعى وفى العمارات الفخمة التى تشرف عليه وفى قلعة قايتباى الرابضة كالأسد وفى الناس الذين يلهون على الرمال وفى البحر .

فاستوقف نظرى مراراً رجل بدين يقضى الساعات الطويلة كل يوم فى الصباح والمساء فى زمهرير الشتاء سابحاً فى البحر كأنما خُلق ليعيش فى الماء وقد رأيت فى حركاته وسكناته ما رابنى فى أمر عقله فكنت أراقبه باهتمام من وقت الى آخر .

ولشدّ ما كانت دهشتى عند ما رأيته يوماً وسط الماء رافعاً بيده

كتاباً إلى أعلا خوفاً من أن تبلله الأمواج وقضى ساعات فى قراءة هذا الكتاب وقد ثنى رقبته إلى الخلف ليتسنى له ذلك !

ولما خرج من الماء أستلقى على بطنه فوق الرمال وهو يلعب برجليه ويديه كالطفل !

## ﴿ حنان أم ﴾

أصاب سيدة هوس حادٌّ بعد ولادتها الثالثة مباشرة فصارت تزعج الناس بالصياح وتلقى بأثاث المنزل من النوافذ وتكسر الأطباق وتعتدى على زوجها وولديها بالضرب القاسى والسباب ، غير أنها كانت شديدة العطف على ولدها الرضيع وكانت تعنى به وترضعه من وقت الى آخر مما أثار دهشتى وعجبى !

## ﴿ حديث طفل ﴾

أصيب طفل بالحمى التيفوئيدية وهو فى السابعة من عمره فأثّرت فى قواه العقلية وأخذت تنتابه نوبات صرع . وأغرب ما حدث له أنه أصبح يكرر ما يريد أن يقوله مرتين فأذا أمرته مثلاً أن يأكل الطعام أجابك مثلاً « أنا شبعان . أنا شبعان » وإذا سألته بكم اشتريت هذا أجابك مثلاً « بخمسة قروش . بخمسة قروش » وهلمَّ جرّاً.

## ﴿ أين مركز الكون ﴾

لا ريب أنك ستحار فى الأجابة على هذا السؤال ولكن امرأة من نزيلات أحد مستشفيات الأمراض العقلية تؤكد أن الشامة التى على خدها الجميل هى مركز الكون ! ! فما رأى علماء الفلك فى ذلك ؟

## لماذا يباهى بأنفه

إنه لعلى حق فى أن يباهى بأنفه لأنه وإن يكن أنفه قبيحاً للغاية إلا أنه أجمل شىء فيه ! !

كان رجلاً رزيناً نابغةً فى قرض الشعر ولكن السم الابيض « الكوكايين » استهوى قلبه فأدمن عليه .

زار يوماً صديقاً له وبعد أن اقرأه السلام قال :—

تأمل فى وجهى ....

فدهش صديقه ... وقال لماذا ؟ فأجابه صاحبنا قائلاً — عجباً ..

ألا ترى فيه شيئاً جيلاً ؟

فحملق الصديق فى وجهه وقال — ربما كان فيه شىء جميل ولكننى لا أراه فأجابه بغضب — هل رأيت أجمل من أنفى هذا ؟

فقال الصديق — لا أرى فيه شيئاً من الجمال .

فغضب صاحبنا غضبةً مضريّةٍ وأرغى وأزبد وقال — إذن أنت من ضمن العصبة التى تتآمر على .

فأوجس صديقه منه خيفة وقد تملكته الدهشة !

وما كان له أن يدهش لأن فى هذا الأنف الجميل ( القبيح ) مستودعاً لأكبر لذة وهمية فى الحياة فأذا استقرّ المسحوق الابيض فى جوفه سرى سحره فى الجسم فأذا به فى عالم رائع جميل يبز عالمنا المملوء بالمتاعب والآلام .

ألا قاتل الله هذه العادة المهلكة الشائعة ووقى البلاد من شرورها .

## يروّج أعمال البوليس

دعانى أحد أقسام البوليس للكشف على مجذوب فلبيت ، وإذا ببضعة أشخاص من صغار التجار مصطفين أمام ضابط القسم يجادلون رجلاً طويل القامة قوىّ البنية وهو بطل هذه القصّة .

قال لى الضابط — لقد أرهقنا هذا الرجل فى كتابة محاضر لهؤلاء الأشخاص طول هذا الصباح وهو يأتينا بين الفينة والفينة بتاجرٍ متهماً إيّاه زوراً بتهم شديدة الخطورة كالاتجار بالمخدرات والتعامل بالربا الفاحش وهلمّ جرّاً ولم يبد هؤلاء الأشخاص مقاومة فى المجىء معه اتقاء لشره ، والغريب أنه اتقن سبك التهم بمهارة فائقة ولولا تعدد المتهمين وتنوّع التهم لما تطرق الشك إلى نفسى فى سلامة قواه العقلية .

وعندئذ سألت الرجل عن سبب اتهامه لهؤلاء الأبرياء بتهم ملفقة ؟ فقال لى أنه يروّج أعمال البوليس ويُحل النشاط محل الكسل ! !

فقلت له إذن أنت تستحق عمولةً على ذلك !

فقال نعم .

فهمست فى أذن الضابط قائلاً — إن أحسن عمولة له أن ينزل على الرحب والسعة فى ( زنزانة ) المجاذيب بالمستشفى الأميرى .

## كيف يسير فى الطريق

يغمض جفنيه ويثنى رقبته إلى الخلف ويفتح فمه للسماء ويقطع الأميال سيراً فى شوارع الأسكندرية وهو على هذه الحالة دون كلل أو ملل وهو يصطدم بالمارة ويوقع المقاعد والموائد المرصوصة أمام المقاهى دون أن ينبس ببنت شفة وهو أنّى يسير تُثار ضجة الصاخبين حوله ؟

ولكنه لايفهم لماذا يصخب الناس بل يتابع سيره كأنه لم يفعل شيئاً !

﴿ لماذا تصيد البراغيث ؟ ﴾

إنها سيدة تصيد البراغيث بشغف وتوثق أرجلها بخيط واحد على بعد نحو سنتيمتر واحد بين البرغوث والآخر ، وأخيراً تحمل الخيط رأسياً وتشعل النار من طرف الخيط الأسفل وتتلذذ من رؤية ضحاياها تحترق !

﴿ عجينة أم فطيرة ؟ ﴾

قال رجل لمعتوهة وقد أعطاها قطعة كبيرة من العجين الجاف « كلى هذه الفطيرة فهى من النوع الفاخر » فأكلتها عن آخرها ولكن ظهر عليها أنها لم تستسغها جداً فقال لها ما رأيك فيها ؟ قالت إنها لذيذة حقاً ولكن ينقصها قليل جداً من السكر !

﴿ تهتز الناموسية من خفقان قلبه ! ﴾

أرسل إلى أحد المرضى القلقين خطاباً قال فيه أن خفقان قلبه واختلاجاته تهز جسمه وهذا بدوره يهز الفراش فتهتز الناموسية تبعاً لذلك .

# الامراض العقلية فى مصر

## التقرير السنوى عن حالة المجاذيب
## فى مستشفى العباسية والخانكة ومستشفى المجرمين

﴿ المرضى الداخلون ﴾

ظلت نسبة الداخلين من المرضى فى مستوى ثابت تقريباً خلال بضع السنين الماضية . ولكن نسبة الداخلات من النساء كانت دواماً أقل من نسبة

الذكور خلافاً لما هو معهود فى اوربا إذ كانت هذه النسبة فيما مضى امرأة واحدة لكل ثلاثة رجال . أما الآن فتكاد تقرب من واحدة لكل رجلين .

## ﴿ رعاية مرضى العقل ﴾

يوجد فى سجلات المستشفيات شيء من الطرافة فيما يختص بتطور أساليب العلاج . فأنها حتى سنة ١٨٩٥ لم تحوِ سوى بيانات عن الاستعانة بوسائل التغذية الناقصة والمسهلات القوية والدراريج و « الغرف المبطنة » والصدريات المنبسطة ( أقصة التكتيف ) والقمع الجسمانى والعزل ، وقد كان لكل هذه الوسائل أثرها فى ارتفاع نسبة الوفيات وازدياد عدد الحوادث .

ومن سنة ١٨٩٦ ـ استعيض عن كافة الوسائل السابق ذكرها بطريقة « العزل فى الغرف الأنفرادية ( الزنازن ) » مما أدى إلى تحسين فى نسبة الوفيات ولكن الحوادث ظل عددها كبيراً ـ أما المرضى فى خلال تلك الحقبة فقد كانوا يبدون على وجه العموم بمظهر السجناء . فيستنكرون حجزهم ويسلكون نحو مستخدمى المستشفى كما لو كانوا سجانيهم وكانت حوادث الحريق العمد والاعتداء على الغير والأصرار على محاولة الهرب أو الشروع فى الانتحار من الأمور المألوفة .

ومن سنة ١٩٢٣ تحولت مئات من تلك « الزنازن » إلى غرف للنوم ومئات غيرها إلى ( عنابر ) وأبطل ( العزل ) وازينت الاسوار كلما وجد الى ذلك سبيلاً .

وقد أجريت فى الصيف تجربةُ إباحة النوم للمرضى فى العراء فى أثناء الليل ، وقد أسفرت النتيجة مع ذلك عن نجاح محقق وتقدير بالغ وما كان فى هذا ما يستوجب الدهشه نظراً لما هو معروف عن حالة

الطقس فى بلد كمصر المشهود لليالها التى قد لا تطاق أحياناً لشدة وطأة الحر .

## العته الاوّلى ، أو الشيزوفرانيا ، أو العتاهة المبكرة ، أو جنون المراهقة

أسفرت الأحصاءات الخاصة بالعته الأوّلى ، عن ملاحظة تستوقف الأنظار وتقلق الخواطر إذ يشاهد أن حالات هذا النوع من أنواع الجنون كانت قليلة جداً فى مبدأ الأمر فلم تتعد نسبتها ٢ر٣ فى المئة من مجموع الداخلين من سنة ١٨٩٥ إلى سنة ١٩٠٥ وزادت إلى ٦ر٣ فى المئة من سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩١٥ وإلى ١٦ر٢ فى المئة من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٥ ثم إذا بها ارتفعت حتى بلغت ٢٧ر٢ فى المئة فى المدة من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٣ .

وقد يصح التساؤل عما إذا كانت هذه الزيادة التى تثير الدهشة نتيجة إخراج ٢٠٥٠٠ مريض فى خلال أربعين سنة قبل أن يتم شفاؤهم ؟

ومن المعلوم أن هذا النوع من أنواع الأمراض العقلية ورائى إلى حد كبير جداً ، وأن الكثيرين من المصابين به قد تطول فترات صحوهم قبل ظهور عوارض جنونهم ، وكثيرون غيرهم لا تبدو عليهم الأعراض إلا ابّان المراهقة وقد تظهر عليهم عقب ذلك علامات الشفاء التام .

## ﴿ البلاجـــرا ﴾

لا جدال فى أن البلاجرا تسبب جنوناً فى بعض الأحيان ، ولكن القول أن كل شخص مصاب بالبلاجرا مصيره لابد إلى الجنون قول لا ظلّ له من الحقيقة :

والجنون الذى يرجع سببه إلى البلاجرا هو من نوع خلطى ، وقد

ادمج فى الجدول الخامس المدرج بهذا التقرير تحت « الجنون الخلطى »

وتظهر على المصابين بهذا النوع من الجنون كل مميّزات التسمم بعدوى الداء ولكن سرعان ما تتحسن حالتهم بالعلاج عادةً وإذا ما أخذت حالتهم الجسمية فى سبيل التقدم فلا يلبث أن يتلو ذلك التحسين فى حالتهم العقلية ، وكلما كان الداء أخفَّ فى وطأته أو أقصرَ مدىً فى زمن الأصابة به كلما كانت النتيجة النهائية شفاءً تامّاً على وجه العموم .

وقد كانت أغراض البلاجرا ظاهرةً على ٣٠٧ من الحالات التى أدخلت خلال السنة ولكن « جنون البلاجرا » لم يبدُ إلاَّ على ١٦٣ حالة منها — والسواد الأعظم من هذه الحالات جاء من المناطق الزراعية ، وأغلبها من الوجه البحرى بنسبة واحد لكل ٥و٣ من المرضى الداخلين ويقابل هذه النسبة من الوجه القبلى واحد لكل ستة .

## ﴿ حالات طريفة ﴾

١ — أُدخل أخيراً ، وللمرة السابعة والاربعين منذ سنة ١٩٠١ ، مريض كان إخراجه فى المرّات السابقة بسبب الازدحام وقد يكون أدعى للطرافة أن نذكر أنه كثيراً ما أدخل بناء على طلبه !

٢ — إن أحد المرضى المصابين « بالصرع » من النوع البالغ المتواتر النوبات : قد تحولّت نوبات الصرع لديه إلى نوبات ضحك وقهقهة مع نحيب يشابه ما يشاهد فى « المصروعين » وكان يعتريه ذهول عقب هذه النوبات غير أنّها انقطعت أخيراً وعادت نوبات الصرع البالغة سيرتها الأولى .

٣ — أدخل أحد رجال البوليس على زعم أنه ذوجنّة « مصاب بمانيا » ولكن ما لبث أن اتّضح أنه مصاب بداء « الكلب » وكان

المريض قبل إدخاله إلى المستشفى بستة أيّام يشعر بآلام شديدة منتشرة مركزها موضع العضّة فى يده .

٤ — أُدخل المستشفى أختان فى يوم واحد ولكن لم تبد عليهما علامات التحسن إلا حين فصلت إحداهما عن الأخرى . وقد كانت حالتهما خير مثال ( للجنون المقتبس ، وكانت كبراهن هى العامل الفعّال ، وقد آل أمرهما إلى الشفاء وأخرجتا من المستشفى معاً )

## معالجة الأمراض العقلية بالحرارة

### علاج الشلل بحمّى الملاريا

يُلقّح مرضى الشلل العام بحمّى الملاريا كالمعتاد ولوحظ أن تلك الحمّى تلاقى فى الأجناس البيضاء مرتعاً أخصبَ منه فى ذوى البشرة الملوّنة إذ أن كثيراً من هؤلاء ظهرت عليهم مراراً مناعةٌ ضدّ ذلك المرض لا يمكن تفسيرها .

## العــلاج بالعمل

للعمل وخصوصاً ما يتّصل منه بالزراعة وفلاحة البساتين والبناء تأثير عظيم فى شفاء العقول المختلّة ولذلك فأن استمالة المرضى إليه مستمرّة ما وجد إلى ذلك سبيل وذلك بدون أىّ إكراه والمشاهد أن غالبيّة المرضى تستمع بلذّة فيما يؤدونه من أعمال .

وفى مستشفيات الأمراض العقليّة نحو الألفى مريض يقومون يوميّاً ببعض الاعمال المتنوّعة فيبدأون عادةً بالعمل فى داخل الاقسام : فى النظافة أو تهيئة الفرش وما إلى ذلك . وما أن تبدأ حالتهم فى التحسن حتى يُحوّلوا إلى الأعمال الزراعية أو الحياكة أو النجارة أو الحدادة أو المغاسل والمخابز الخ . أما الاكثر منهم فأنهم يقومون بأعمال النظافة كنقل القمامة وجر الهرّاسات

وجمع الحصى للطرقات ورشّها أو أى عمل آخر يتفق وحالة عقولهم الراكدة وبذلك يستمتعون بالرياضة فى الهواء الطلق وتتّسع أمامهم سبل تفهّم المحيط الخاص بهم ويُرجّح أن يناموا ليلاً وأن تقلّ لديهم فرصُ التفكير فى تصوّراتهم الوهميّة .

## وسائل التسلية

كان للراديو الذى أقيم فى مستشفى الأمراض العقليـة أبلغَ الأثر لدى المرضى ويظهر أن له تأثيراً مسكّناً على الصخّابين من المرضى ومن هم فى الأدوار الحادّة الذين ينقطع صخبهم عادة ليُصغوا اليه .

## تعليقات المؤلف على التقرير

عنّت لى بعض ملاحظات عن بعض ما جاء فى التقرير رأيت أن أوردها فى كلمتى هذه لعلّ فيها شيئاً من الفائدة .

جاء تحت عنوان العته الأوّلى Schizophrenia أو العتاهة المبكرة أو جنون المراهقـة أن نسبته كانت ٢٫٣ ٠/٠ من سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٥ وازدادت تدريجيّاً إلى أن بلغت ٢٧٫٣ ٠/٠ من سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٣٣ . وتعليقاً على ذلك أقول إنى أرى أن السبب فى هذه الزيادة ناتج لحد كبير عن تطوّر الظروف المحيطة بنا وأهمّها الآتى :

١ — إرهاق الطلبة فى دور البلوغ والمراهقة ببرامج دراسيّة طويلة من شأنها أن تنهك قواهم العقليّة .

٢ — أزمة الزواج وخصوصاً أزمة الزواج المبكر فالواقع أن الطلبـة يعانون حياةً غايةً فى الاضطراب من الوجهة الجنسيّة وهذا من شأنه أن يزيد اضطرابهم العقلىّ وأن يعكّر حالتهم النفسية .

٣ — الأزمة المالية العالمية . وقد أصاب مصر منهـا نصيب كبير ولا حاجة بى لأن أدلل على تأثير العسر المالى على الحالة العقلية والنفسانية .

ومع عدم إنكارى أن هذا النوع من الأمراض العقليـة ورائى إلى حد كـبير ، ومـع جزمى بأن الأسباب التى ذكرتها ليست بأسباب مباشرة لهـذا المرض فأنى أرى أن كثيراً من الأشخاص الذين عنـدهم استعداد ورائى لأن يصابوا بهذا المرض قد ينجون من الانحـدار إلى هوته إذا توفرت لديهم ظروف اجتماعية ومادية حسنة .

على أن بعض الأشخاص قد يصابون بهـذا المرض بالرغم من أنهم لم تنهك قواهم العقلية وبالرغم من أنهم نشأوا فى بحبوحة من العزوالرخاء .

إباحة النوم فى العراء :

واسترعت نظرى فى هذا التقرير تجربة إباحة النوم فى العراء ورأيى أنها تجربة على جانب عظيم من الأهمية . وقد أخبرتنى مريضة بالسوداء « الملاخوليا » بعد أن شفيت أنها كانت فى أثناء مرضها تشعر بارتياح نسبى كبير فى أفـكارها وحالتها النفسانية عندما كانت تتعرَّض للعراء فى أوقات مناسبة أو باستعمال المـكمَّدات الباردة على رأسها . وكثيرون من المرضى يطلبون العراء فى فترات تنبههم .

البلاجرا :

من المعروف أن البلاجرا Pellagra تنشأ فى الأوساط الفقيرة غير أنى شاهدت حالة فى وسط اليسر والرخاء وكان طعام المريضة طول عمرها مستوفيا للشروط الصحية ومحتويا على جميع العناصر اللازمة للجسم . وقد حملنى هذا على الاعتقاد أن البلاجرا لا تنتج فقط من انعدام الفيتامين ب ٢ فى الطعام وإنما قد تنشأ من اختلال وظائف الأمعاء وعدم امتصاصها

لبعض العناصر الضرورية فى الغـذاء وخصوصاً الفيتامين ب ٢ . ولعل لاختلال أحد وظائف الكبد أو بعضها تأثيراً فى اختلال الأمعاء إذ قد وجـد أن تناول خلاصة الكبد بالحقن وعن طريق الفم علاوة على الفيتامين ب ٢ قد أدى إلى نتائج مشجعة فى علاج البلاجرا . ويغزر الفيتامين ب ٢ فى خميرة البيرة والحلبة والبيض الخ .

الحالات الطريفة :

جاء فى معرض الكلام عن الحالات الطريفة ما خلاصته أن أحد المرضى بالصرع epilepsy قد استحالت نوبات الصرع لديه إلى نوبات ضحك وقهقهة مع نحيب وكان يعتريه ذهول عقب هذه النوبات . وقد ذكرتنى هذه الحالة بحالة غير عادية من مرض التصلب المنثور dissiminated Sclerosis فقد كان المريض إذا سمع نكتة لطيفة ضحى مدة وجيزة بأرادته ولكنه يرى نفسه يستمر على الضحك آليا ( أوتوماتيكيا ) بالرغم من إرادته وما يقال عن الضحك يقال عن البكاء إذا سمع أمراً يجرح عواطفه أو يحزنه . وهذه الحالة تختلف عن الحالة الواردة فى التقرير إذ أن نوبات الضحك والنحيب فى هذه الحالة هى بمثابة نوبات صرع يعقبهـا ذهول فضلا عن كونها تحدث بدون إرادة المريض أما فى حالة التصلب المنثور المنوه عنها فهى تختلف عن ذلك فى كونها تبدأ بأرادة المريض ولا يعقبها ذهول .

# الهبوط النفسانى

يشكو كثيرون من العظماء والمخترعين والفنانين كالشعراء والموسيقيين وغيرهم من الهبوط النفسانى الذى يضيق عليهم الخناق ويزج بهم فى

مهاوى اليأس ويجعلهم يزهدون الحياة وربما تمنوا الموت ، وهم بأرهاقهم أعصابهم وغددهم الصماء بمجهودات عظيمة متواصلة يصبحون أشد تعرضاً لهذه النوبات .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

وتنشأ نوبات الهبوط النفسانى عن هبوط القوى الحيوية فى المراكز العليا فى المخ وهو يختار ضحاياه عادة من ضعاف البنية مرهفى الأحساس وكذا المعرضين للآلام الروماتزمية والربو ، وصداع نصف الرأس ، والاضطرابات الهضمية وغير ذلك .

وأكثر نوبات الهبوط أنتشاراً نوبات قصيرة قد تحدث فجأة وتنتهى فجأة مثل نوبات الربو ، ولا يبعد أن تكون أسبابها مثل أسباب الربو وكثراً ما يحدث أن يكون مفعول السبب الذى يحدث ربواً فى شخص ما إحداث هبوط نفسانى فى شخص آخر .

أما أشد حالات الهبوط خطورة فهى حالات الملاخوليا والهوس .

وهناك حالات سببها ظاهر كموت صديق أو عزيز ويكون المصاب مدركا لسبب هبوطه المباشر غير أن المريض قد يشعر بهبوط شديد من دون أن يدرك السبب أو ربما يعزوه إلى التعب من مجهود كبير كان قد قام به فى حين أنه عند تحليل نفسيته يتضح أن السبب الحقيقى هو موت صديق من عهد بعيد أو من أثر حادثة قديمة آلمت إحساسه أو من إخفاق فى عمل ما ، بل قد يكون سبب الهبوط الدفين راجعاً إلى واقعة محزنة فى أيام الطفولة ويفيد التحليل النفسانى كثيراً فى هذه الحالات .

وقد يحدث أن المريض بالهبوط لا يشكو من الهبوط نفسه وإن تكن آثاره مرتسمة على محياه وإنما من آلام فى أية ناحية فى الجسم أو من

فقدان بعض وظائف الجسم كالوظائف الجنسية ، وذلك لكى يغطى ـ عن غير قصد ـ حالة نفسية بائسة قائمة .

ولا بد أن يكون للأشخاص المعرضين للهبوط استعداداً تكوينياً خاصاً وهم قد تعتريهم نوبات من أى سبب كالأمساك أو الطمث أو نوبات الأنفلونزا أو الولادة أو الزكام .

العلاج . يتوقف العلاج على السبب أو الأسباب الحقيقية للمرض ويلزم البحث أولا عن وجود بؤر سامة كامنة فى الجسم مثل التهابات ساكنة فى الزائدة الدودية والحويصلة المرارية وجذور الأسنان واللوزتين والتجاويف الهوائية بالجمجمة وغير ذلك ، كما ينبغى الاهتمام بالهضم ووصف العصائر الهضمية إذا أتضح أنها عديمة الكفاية ، ويحسن أعطاء المريض خلاصات الغدد الصماء ، وخصوصاً خلاصة الغدة الدرقية وعضو فوق الكلى والغدد الجنسية فى بعض الحالات ، وينبغى أن يكون طعام المريض مغذيا محتوياً على كميات وافرة من الأملاح المعدنية كأملاح الجير والمنغنيز وعلى الفيتامينات وخصوصاً الفيتامين ب ١ ، ب ٢ ولا بأس من إحداث الصدمة البروتينية بحقن اللبن أو سواه فى العضلات أو حقن دم المريض فى عضلاته إذا اتضح أن المرض ناشىء عن حالة استهدافية وقد ينفع حقن خلاصة الكبد فى العضلات نفعاً كبيراً فى جميع أنواع الهبوط .

وتعطى المنومات للحالات المصحوبة بأرق ، وإذا سمحت حالة المريض فلا بأس أن ينتقل الى مكان ذى جو ملائم ، وقد يفيد من ذلك كما هى الحال فى بعض حالات الربو .

ولا ريب أن إراحة الجسم والعقل إراحة تامة ضرورية فى كثير من الأحوال .

# الغدد الصماء

تصب الغدد الصماء إفرازاتها فى الأوعية الدموية التى تحملها إلى جميع أنحاء الجسم بخلاف الغدد القنوية التى يتصل إفرازها بالداخل كغدد العصير الهضمى أو بالخارج كغدد العرق .

تلعب الغدد الصماء متضامنة مع الفيتامينات أدوارا هامة فى كل العمليات الحيوية بأنسجة الجسم فتتحكم فى النمو الجسمانى والعقلى وينشط معظمها فى بعض أدوار الحياة كالبلوغ والمراهقة أو فى طوارىء الحياة الفسيولوجية كالحمل والرضاعة كما أنها يصيبها الأعياء فى دور اليأس أو فى حالات مرضيَّة .

وهاك بعض الأمثلة التى تبين العلاقة بين الغدد الصماء والفيتامينات : — يؤدى الفيتامين ب **B** أو فيتامين ضد البريبرى إلى إدرار لبن الأم كما أن الفيتامين هـ **E** أو فيتامين ضد العقم من العوامل التى يترعرع بها الجنين وينمو فأعطاء الأم الفيتامينات المذكورة يهيئها لتحمل أعباء الحمل والرضاعة من الوجهة الفسيولوجية .

ويعين الفيتامين ا **A** أو فيتامين المناعة الغدة الدرقية على تأدية وظيفتها ويؤول نقص الفيتامين ا إلى اضطراب فى المقدرة على التناسل ويحدث نقص الفيتامين هـ **E** ضموراً فى الغدد الجنسية .

ولما كان الحمل من العوارض الفسيولوجية التى تستلزم نشاطاً كبيراً فى الغدد الصماء فأى نقص فى هذا النشاط قد يحدث عوارض مرضيَّة شتى تختلف خطورتها تبعاً لدرجة النقص أو نوعه . فالواقع أن الاكلمبسيا التى تحدث تسمماً وتشنجات كثيراً ما تكون قاتلة والقىء المستعصى وجنون

النفاس وغير ذلك من مضاعفات الحمل ليست إلا أثراً من اضطراب وظائف الغدد الصماء أثناء الحمل والنفاس مما يؤدى إلى ضعف مناعة المريضة ضد السموم التى تهدد كيانها أو إلى زيادة حساسيتها بالمواد التى قد لا تكون سامة للمريضة فى حالتها الطبعية .

وأرى لاتمام الفائدة أن أحصى الأغذية الفنية بالفيتامينات المذكورة فالفيتامين ا أو « فيتامين المناعة وضد انحلال القرنية » يكثر فى زيت السمك والخضروات والجزر والزبد والكلى .

وأهم موارد الفيتامين ب ا جنين القمح والخميرة وخلاصة الشعير وصفار البيض والكبد والكلى واللبن . وينشأ من نقص هذا الفيتامين مرض « البريبرى » وأهم عوارضه التهاب فى الأعصاب النهائية وسواها فتشل اليدان والقدمان ويضعف إحساس الجلد ويخفق القلب .

أما الخميرة وجنين القمح فغنية بالفيتامين ب٢ **B** أو فيتامين ضد « البلاجرا » وهو مرض موجود فى ريف مصر وأهم أعراضه طفح دورى فى الأجزاء المعرضة من الجلد للأشعة والجو وأعراض عصبية وعقلية لتأثيره على النخاع الشوكى والمخ وإسهال شديد مزمن ويكاد لا يرجى له شفاء .

ويغزر الفيتامين ج **C** فى عصير الليمون والبرتقال والخضروات . وينشأ من انعدامه مرض « الاسكربوط » وأهم أعراضه آلام فى شتى أنحاء الجسم مصحوبة بأنزفة فى العضلات وأغشية العظام وسواها بينما تصبح اللثة اسفنجية دامية .

ويتكون الفيتامين د **D** أو فيتامين ضد الكساح من تعريض الجلد لأشعة الشمس أو للأشعة فوق البنفسجية وأغنى مورد له زيت السمك .

أما للفيتامين هـ E أو فيتامين ضد العقم فيغزر فى جنين القمح والخضروات واللبن .

ولتؤدى الغدد الصماء وظائفها بحالة طبعية ينبغى ألا يزيد إفراز كل منها أو يقل عن الحد الطبعى ففى كلا الزيادة والنقصان تحدث عوارض مرضية متنوعة .

موضوع الغدد الصماء مازال رهين الأبحاث العلمية وقد اكتشفت حديثاً جملة إفرازات للغدة النخامية التى تتحكم فى نمو الجسم وعلى الأخص العظام ، وتؤثر على الرحم بمساعدة غدد أخرى فينمو أثناء الحمل ليتسع للجنين وتسبب نضوج الثدى لأفراز اللبن ، وتؤثر على لون الجلد والأعين والشعر وتنظم العمليات التحولية فى الجسم فتتحكم فى السمنة كما أنها تلعب دوراً هاماً فى إبراز الصفات الجنسية الثانوية عند البلوغ كما أن أحد إفرازاتها ( البتيوترين ) يسبب انقباض الرحم عند الولادة على أنها تفرز إفرزاً آخر أثناء الحمل يضاد تأثير هذا الافراز كيلا يحدث الأجهاض ، وقد لوحظ أن عدم إفراز الفص الخلفى للغدة النخامية يسبب انهيار البول .

إن موضع الخصية فى الأصل عند الذكور يقابل موضع المبيض عند الأناث ، وقد وجد أنه فى الحالات الشاذة التى تقف فيها الخصية عن الاستمرار فى انتقالها من الحوض إلى الصفن إذا أعطى البرولان وهو أحد إفرازات الفص الأمامى للغدة النخامية قد تستمر الخصية فى الانتقال إلى أن تتموأ المكان الذى أعدته لها الطبيعة .

## البلوغ

تنشط الغدد الجنسية وغدد فوق الكلى والغدة النخامية أثناء البلوغ

فيظهر على الشخص الصفات الجنسية الثانوية كنبت الشعر فى جهات خاصة بالجسم واكتمال نمو الأعضاء الجنسية وتخشوشن الصوت فى الذكر وتنمو الذقن ويظهر الشارب . أما فى النساء فيكبر الثدى ويظهر الطمث وينمو الرحم ويتضخم ، وينبغى فى هذا الدور عدم إرهاق الشخص بالأعمال الفكرية ويلزم الاعتناء بالتغذية والصحة ، فالمخ يتلقى رسالات عديدة من الأعضاء الجنسية فيزداد كاهل الأعمال عليه وهنا تلعب الوراثة دورها فقد ينهار العقل لأول صدمة تحولية إذ قد تصيب البالغ البلاهة أو العته كما أنه يحدث له الصرع أو نوبات وقتية من السوداء أو الهوس .

بيد أن النوبات الهوسية أو السوداوية تحدث عادة فى سن المراهقة . والحقيقة ان الاشخاص الذين تنتابهم أدوار جنونية فى دور البلوغ يكونون عادة من عترة وراثية من أسوأ ما يكونون من الوجهة العقلية .

## المراهقة

يستمر نشاط الغدد الصماء فى دور المراهقة وهو دور النضوج العقلى والجسمانى ففى نحو الخامسة والعشرين فى الذكور والثالثة والعشرين فى الأناث ينتهى دور المراهقة فيشعر الشخص بالواجب ويقدر مسئولية الحياة ويذهب نزق الشباب وتثبت عاطفة الحب ويبلغ الميل الجنسى أقصاه مما يحتاج إلى تقييد تلك النزعات الجنسية بأوامر المخ التى تصدر من مراكزه العليا .

ويشذ بعض المراهقين فيلجأون إلى العادات السرية ويتبعون طرقاً غير طبعية لأشباع غريزتهم النزقة وقد تحدث فى هذا الدور الجرائم الجنسية وأهم الأمراض العقلية فى هذا الدور الهوس والسوداء وجنون المراهقة ويلى ذلك الجنون الأضطرابى الحاد والصرع والهستريا والنورستانيا ويصطبغ

الجنون عادة بصبغة الجنسية .

وقد تنشط بعض أوكل الغدد الصماء بالجسم فى أى مرحلة من مراحل الحياة فمن الأطفال من يظهرون نبوغاً كبيراً فى شتى الفنون كما أن منهم من ينمون نمواً سريعاً فيبدون فى سن أكبر من سنهم الحقيقية . ويولد بعض الأطفال وقد برزت أسنانهم أو نبت لهم شعر غزير .

وقد ينبغ بعض الرجال نبوغاً سريعاً مع ركود قريحتهم فى المراحل الأولى من حياتهم .

## الأغراء الجنسى

الأغراء الجنسى وليد إفرازات الغدد الصماء عند البلوغ والمراهقة ، وغريزة الأغراء شاملة للجنسين غير أنها أقوى عادة فى أحدهما منها فى الآخر فهى أقوى عادة فى الحيوان فى جانب الذكر منها فى الأنثى . أما فى الأنسان فى عصرنا الحاضر فهى أقوى فى جانب المرأة — على أنه يمكننا أن نقول أنه فى أوائل نشأة الانسان كان الأغراء أشد فى جانب الرجل — فأكثر ماكان يغرى المرأة فى الزمان القديم العضلات المفتولة وقوة البطش أى أن الانسان القديم كان أقرب إلى الحيوان منه إلى الأنسان الحديث من هذه الناحية .

أما الآن فأشد الأغراء يأتى من ناحية المرأة فجمالها وصوتها ونعومة جلدها وانسدال شعرها ونظراتها وتقاطيعها مضافة إلى المغريات الصناعية من شأنها أن تأخذ بمجامع قلب الرجل .

تجذب ذكور الغزلان إناثها بجمال القرون ورائحة المسك الذى تفرزه غدد خاصة بها ، ويمشى الديك مختالاً بعرفه وبريشه الجميل صائحاً ليفتن إناثه وقد وجد أن العرف لا ينمو وأن الديك لا يصيح إذا أخصى .

ينشر الطاووس ريشه ذا الألوان الزاهية فى الفضاء ليغرى انثاه كما أن الأسد يغرى اللبؤة بالزبد وبقوة البطش .

وما مـــواء القطط وصفير الصراصـــير ونقيق الضفادع إلا أصوات للأغراء الجنسى .

## تأثير الغدد على النمو الجسمانى

يبطىء نمو الجسم فى حالة عدم كفاية إفراز الغدة الدرقية الخلفى ( الكثم ) ويبـدو الوجه عريضاً والعينان متباعدتين والصدر ضيقاً والأرجل متقوسة ويبلغ طول المريض الذى فى سن البلوغ طول طفل فى الخامسة أو السادسة وعلاوة على ذلك تظهر على المريض الأمراض الخاصة بمرض المكسيديما الناتج من قلة إفراز الغدة الدرقية عادة بين سن الثلاثـــين والخمسين فيسمك الجلد والأغشية المخاطية ويمتنع العرق ويسقط الشعر ويبدو سمك الغشاء المخاطى فى اللهاة واللسان وتصبح الأظافر هشة .

وينشأ عن قلة إفراز الفص الأمامى من الغدة النخامية فى الذكور أن يكون تكوين الجسم أقرب إلى الأنثى منه إلى الذكر فيصبح الجلد ناعماً رفيعاً والشعر شحيحاً والأظافر هشة صغيرة ويمتنع الميل الجنسى فى كلا الجنسين وينعـدم الطمث فى الأناث أما إذا زاد إفراز الفص الأمامى من الغدة النخامية فى درو المراهقة نشأ مرض العملقة فتطول العظام وتكبر اليدان والقدمان ويبرز الفك الأسفل ويتضخم الجـــلد والأغشية المخاطية ، ولا يزال يعلق بذاكراتنا المصاب بمرض طول العظام محمد غازى فقد بلغ طوله بعد نحو خمس سنوات ٢٨٥ سنتيمتراً !

تصيب احيانا الغدة الصنوبرية الواقعة بقاعدة المخ أورام قبل الحادية عشر من العمر تؤدى إلى زيادة إفرازها وينشأ عن ذلك أن ينمو

الجسم بسرعة عظيمة وتتضخم الأعضاء التناسلية ويحصل البلوغ من الوجهة العقلية والجسمانية قبل الأوان فقد يكون الطفل فى التاسعة أو العاشرة مثلا وله كل صفات البالغين ـ وقد تحدث البدانة من زيادة إفراز هذه الغدة.

ويظهر أن الغدد الجنسية تعمل على اعتدال القامة فالخصيون إما طوال نحاف وأما قصار سمان.

وثمة مثل يدل على مبلغ تأثير الغدد على النمو والمناعة. فأنا أعرف مريضاً فى السادسة عشر من عمره يبدو كأنه فى الثانية عشر وهو علاوة على ذلك معرض لطفح تقيحى فى شتى أنحاء جسمه ما بين حين وآخر فضلا عن كونه هزيلا ضعيفاً وقد عولج هذا المريض بضع سنين بمختلف العقاقير فما زادت حالته إلا سوءاً وأخيراً عولج بخلاصة الغدد فانتعش وامتنع الطفح بتاتاً وهو فى حاجة إلى الاستمرار على العلاج لكى ينمو جسمه نمواً طبعياً.

وهناك مريض آخر بمرض « أديسون » الناتج من عدم كفاية غدة « فوق الكلى » تكاد تشوه وجهه الأكنة ( حب الشباب ) فما أن حقن بخلاصة هذه الغدة وسواها من الغدد حتى اختفى منه هذا الطفح وقد أصيب نفس المريض بالتهاب تحت الحاد فى إحدى غدتيه الجنسيتين حتى تلفت وقد تناول الالتهاب الغدة الأخرى فأصبحت على شفا الخطر إذ ظلت ملتهبة عدة شهور حتى قيض للمريض أن يعالج بخلاصة الفص الأمامى من الغدة النخامية التى تتحكم فى الغدد الجنسية فوقف الالتهاب عند حده فى مدى أسبوع.

## تأثير الغدد على النمو العقلى والحالة العصبية

يغلب على الظن أن يكون لقشرة غدة فوق الكلى تأثير على نمو المخ وقد وجد أن هذا الأفراز يشفى النورستانيا ( ضعف الأعصاب ) ولوحظ فى حالات جنون المراهقة التى عملت لها الصفة التشريحية أن لب غدة فوق الكلى ليس فى حالة طبعية .

وتؤدى قلة إفراز الغدة الدرقية إلى خمول المريض العقلى والجسمانى وقد تنتابه تشنجات أو هذيان فى حين أن زيادة إفراز الغدة الدرقية يسبب شدة عصبية المريض فترتعش أعضاؤه وتجحظ عيناه ويخفق قلبه وقد تعتريه أعراض عقلية كالسوداء والهوس أو هواجس وقد يموت بعض هؤلاء عند إعطائهم المخدر من شدة حالتهم العصبية قبل إجراء العمليات الجراحية لاستئصال أجزاء من الغدد المريضة .

من ذلك يتضح أنه قد يحدث من كلا زيادة إفراز الغدة الدرقية أو قلته عوارض عقلية وعصبية .

وينبغ بعض المتخصصين فى الموسيقى والفنون الجميلة ومنهم من يكونون فى حالة عقلية ممتازة فتنطبق عليهم الحكمة القائلة « ذكاء المرء محسوب عليه ».

ويشكو الأطفال المصابون بشدة إفراز الغدة التيموسية الذى يبدأ أثره بين الشهر السادس والشهر الثانى عشر من العمر من تشنجات وأدوار اختناق وقد يحدث الموت فجأة لأتفه الأسباب فى الأطفال أو البالغين من الاستحمام بماء بارد أو تهيج نفسانى الخ . . .

وتتسبب بعض حالات الصرع من عدم كفاية الغدة النخامية وقد رأيت مريضة أدت قلة إفراز الغدة النخامية بها إلى ضمور الغدد الجنسية ولم تمتنع نوبات الصرع عنها إلا بعد أن أشفع علاجها « باللومينال » بخلاصة الفص الأمامى للغدة النخامية .

وقد تلون جسم نفس المريضة بلون مائل إلى السواد فى غير انتظام بضعة شهور فاختفى اللون تقريباً فى مدى أسبوع بأعطاء مزيج من خلاصة الغـدد .

## النوعـــية والأعضاء الجنسيـة

يؤدى شدة إفراز غدة التيموس فى ذكور البالغين إلى أن يشح الشعر بالجسم ويقتصر انتشاره على الجهات التى ينتشر فيهـا فى الأناث وتضمر الأعضاء الجنسية .

وفى الحالات النادرة التى تتضخم فيها قشرة غـدة فوق الكلى فى الجنين الأنثى يحصل التخنث الأنثوى الكاذب فيكون الشخص أنثى لوجود المبيض به ولكن له صفة الرجولة الخارجية وإذا تضخمت بعـد الولادة مباشرة بلغ الشخص سن البلوغ قبل الأوان ففى ذكور الأطفال تترعرع الأعضاء الجنسية وتنمو نمواً كبيراً وتقوى العضـلات وينمو الشعر فى الوجه .

ويحدث ما يشبه ذلك فى إناث الأطفال وقد يفيض الطمث قبل الأوان فى سن صغيرة غير أنهن عندما يبلغن سنا كبيرة ينمو الشعر فى وجوههن وينقطع الطمث ويقف نمو الثدى وتقوى العضلات .

أعرف سيدة من هذا النوع تجلس مع الرجال فى المنتديات العامة وتمسك عصا غليظة بيديها وتتكلم بصوت أجش وتميل إلى العنف والمشاجرة ولها جسم ضخم بدين .

وقد يتأخر البلوغ فى حالة ضمور الغدة الدرقية الوراثى وقد لا يحدث مطلقـاً .

## البـــدانة

تنشأ البدانة من مرض « المكسيديما » الناتج من قلة إفراز الغـدة الدرقية ومن بعض أورام غـــدة فوق الكلى والغـدة الصنوبرية وبعض حالات الخصى .

ومن الناس من يكون بديناً فى الصغر ولكنه ينحف عند ما يمتد به العمر ومنهم من يكون عكس ذلك كما أن من الاشخاص من تنتابه البدانة فى شتى أدوار الحياة كالبلوغ والمراهقة وسن اليأس .

والغدد التى تستعمل لمقاومة البدانة هى الغدة الدرقية ولكنها إذا أخذت بمقادير كبيرة تسبب عنها خفقان القلب والأرق واشتداد الحـالة العصبية . وتوصف خلاصة البنكرياس ( الانسيولين ) ضد البدانة بشرط أن يقلل الشخص من تناول المواد النشوية إذ لو أخذت هذه المواد بمقاديرها الطبعية لازدادت البدانة بدلا من أن تنقص .

## الطمث

تسيطر على ظاهرة الطمث الغدة النخامية والغـدد الجنسية وغدة فوق الكلى وسواها .

تنضج الحويصلات التى تتكون داخلها البويضة فى المبيض بعد انتهاء الطمث بأثنى عشر يوماً إلى أربعة عشر يوماً وحينئذ تنفجر الحويصلة ويخلو السبيل لهذه البويضة فتتجه إلى الرحم بمساعدة خلايا ذات شعريات بالبوق وأنبوبة الفالوب .

وتفرز الحويصلة إفرازاً داخلياً باستمرار ينشأ عنه تضخم الأغشية المخاطية واحتقانها وتقوية عضلات الرحم .

وبعد انفجار الحويصلة يتكون الجسم الأصفر على أثر نمو خلايا خاصة بها فيزداد تضخم الرحم مهيئاً نفسه لاستقبال البويضة الملقحة . فأذا لم تلقح البويضة بطل عمل الجسم الأصفر ويتحلل الغشاء المخاطى المحتقن ويفيض منه الدم وإذا لقحت البويضة تحول الجسم الأصفر إلى الجسم الأصفر الحملى الذى يؤثر على نمو الرحم ليتسع للجنين تحت سيطرة الغدة النخامية .

وينشأ من نقص إفراز الغدة النخامية وغدة فوق الكلى أن يكون الرحم صغيراً ومكتسباً الشكل الطفلى وبذا ينقطع الطمث ، أما فى حالة زيادة إفرازها فيمتنع الطمث إذ تتصف المرأة ببعض صفات الرجولة .

وتؤدى قلة إفراز المبيض والغدة الدرقية إلى استمرار أخلاق وصفات الطفولة فى سن البلوغ بينما يغزر الطمث عن المعتاد فى حالة زيادة إفرازها

وتبقى صفات الطفولة وينقطع الطمث من تضخم الغدة التيموسية .

## اللون

إن إفرازات الفص الأوسط من الغدة النخامية وقشرة غدة فوق الكلى والغدد الجنسية تتحكم فى اللون .

ويشاهد تأثير الغدد الصماء فى اللون فى حالات الحمل فيتغير لون الهالة الحلمية إلى لون بنى قاتم ويظهر خط اسمر من العانة الى أعلا السرة وكلنا يعرف الكلف الذى يحصل للحاملات حول العينين .

أعرف مريضاً مصاباً بمرض أديسون وينشأ من عدم كفاية غدة فوق الكلى يميل لون شعره فى حالته الطبعية إلى السواد فأصبح أثناء المرض أصفر اللون خشن الملمس وقد استعاد الشعر لونه ونعومته الطبعية

بالتدريج بالعلاج بخلاصة غدة فوق الكلى كما أن اللون البرونزى الذى طغى على وجهه وأذرعه كاد يختفى بهذا العلاج .

## الشعر

لعل أهم الغدد التى تؤثر على الشعر الغدة الدرقية والغدد الجنسية والغدة النخامية وقشرة غدة فوق الكلى والغدة الصنوبرية وهذه أهم الغدد التى تتحكم فى الصفات الجنسية .

ويظهر تأثير الغدة الدرقية على نمو الشعر فى حالة قلة هذا الأفراز فى ( المكسيديما ) فيسقط الشعر من مقدمة الرأس ومن الثلث الخارجى من كل حاجب .

أما تأثير الغدد الجنسية والغدد التى تتحكم فيها فيظهر أثرها فى نمو الشعر فى جهات خاصة فى دور البلوغ إلى المراهقة .

وينشأ من زيادة إفراز الغدة الصنوبرية وقشرة غدة فوق الكلى فى الأطفال أن يحدث البلوغ قبل الأوان مع غزارة الشعر .

## قوة التناسل والأكثار

لا ريب فى أن أهم الغدد التى تتحكم فى قوة التناسل والأكثار هى الفص الأمامى من الغدة النخامية وقشرة غدة فوق الكلى والغدة الدرقية والغدد الجنسية والبروستاتا .

ويفيد العلاج بهذه الغدد الأشخاص الذين نشأ فيهم ضعف القوة الجنسية سواء من الوجهة النفسانية أو التكوينية .

## الشيخوخة

تهرم الغدد الصماء تبعاً لناموس الطبيعة كما يهرم كل نسيج بالجسم . على

إنى أعتقد أنه يمكن إبعاد سن اليأس والشيخوخة عدة سنين على شرط أن يبدأ العلاج بخلاصة الغدد فى سن صغيرة نسبياً كسن الثلاثين مثلا ويستمر العلاج بمقادير صغيرة دون انقطاع .

وقد وجد أن قلة إفراز الغدة الدرقية يؤول إلى تصلب الشرايين فى كافة أنحاء الجسم كما أن عدم كفاية الغدد الجنسية يؤدى إلى ظهور التجاعيد الشيخوخية فى الجلد وعلى الأخص فى زاويتى الفم والزاوية الخارجية لكل عين .

ولا ريب فى أن الهرم قبل الأوان أثر من آثار عدم كفاية الغدد الصماء فمن الناس من يهرمون مثلا فى سن العشرين أو الثلاثين .

# الباب الثانى

## أسباب الجنون العامة

لم يوفق علماء الطب حتى اليوم إلى اكتشاف أسباب أغلب أنواع الجنون ولو أنهم توصلوا لمعرفة أسباب بعض أحوال الجنون دون معرفة الوسائل .

وأهم العوامل المعروفة التى تسبب الجنون هى الزهرى والحميات والسموم كالمورفين والكحول والحمل والرضاعة والبلاجرا الناتجة من انعدام الفيتامين فى أنسجة الجسم والعنف الموضعى على المخ وارتجاجه وضربة الشمس والتأثيرات النفسانية .

وليست الوراثة سبباً من أسباب الجنون . ومعنى الجنون الوراثى أن الأبناء مثلامعرضون لنفس الأسباب التى آلت إلى جنون آبائهم .

أما سبب جنون الآباء فهو حلقة من الحلقات المفقودة .